بين يدي الساعة

من القرآن الكريم والسنة المطهرة

الدكتور
عبد الباقي أحمد محمد سلامة

مكتبة المعارف
الرياض

الطبعة الأولى
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

مكتبة المعارف - ص.ب: ٣٢٨١ - هاتف ٤٠٢٣٩٧٩
الرياض - المملكة العربية السعودية

بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين. وغفر لمن عمل بسنته إلى يوم الدين.

وبعد.

فهذا بحث يتصل بالساعة وما يقع بين يديها من آيات وعلامات. اعتمدت فيه على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وأقوال العلماء العارفين وأردت به الذكرى لنفسي. وللقارىء الكريم. والذكرى تنفع المؤمنين

ولما كانت الآخرة آتية لا ريب فيها. وعلاماتها الصغرى قد وقعت بيننا. والكبرى توشك أن تحل فينا. فمن أجل ذلك اندفعت إلى هذا البحث..

وأنا أرجو من الله تعالى: أن يجعله خالصا لوجهه العظيم.

كما أرجو من الإخوة القراء: العفو عن نقصه وعيبه فالكمال لله وحده

والله ولي التوفيق؟

الدكتور

عبد الباقي أحمد محمد سلامة



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أخي القارىء :

أقدم إليك هذه الباقة الطيبة ، التي جمعتها من القرآن الكريم ، ومن السنة النبوية ، جمعا يوصل إلى معرفة الحق في كل ما يتصل بالساعة ، من ناحية علامات قربها ومجيئها .

وقد جمعتها ورتبتها ، وشرحتها ، وبينت الصحيح والضعيف فيها . وذكرت خلاصة آراء العلماء السابقين وخلافاتهم حول بعض هذه العلامات . ورجحت ما اعتقدت رجحانه بالحجة والدليل والمناقشة .

تاركا لك يا أخي الكريم ، أن ترى رأيك بعد أن تنظر في كل ما ستجده أمامك من نصوص ومن آراء .

وقد قسمت البحث إلى قسمين . فبدأت بالعلامات الصغرى العامة الدالة على قرب الساعة . ثم انتقلت إلى العلامات الكبرى القريبة من الساعة . وأعطيت هذه ما هي جديرة به من العناية والاهتمام .

وقبل حديثي عن هذه وتلك . تكلمت عن بعض الموضوعات التي تتصل بالبحث والتي هي لازمة له ومفيدة ، وجعلتها كالمقدمة للبحث .

وقد اكتفيت من النصوص القرآنية والنبوية الصحيحة. والصريحة، بترتيبها وتبويبها، وشرحها، وبيان الرأي الخالص فيها.

أما النصوص المشكلة، أو المبهمة، أو المتضاربة، والتي كثر حولها القيل والقال، وتعددت الأقوال، فقد أعطيتها من البحث الدقيق. والتخريج والتحقيق، والترجيح أو التوفيق. كل ما يجب لكشف الحقيقة وتوضيحها، وإزالة الغموض عنها.

وأرجو أن أكون قد وُفقت بعض التوفيق إلى الصواب والحمد لله رب العالمين؟

ما قبل الكلام عن أشراط الساعة

الساعة وتعريفها
أسماؤها
متى هي؟
مجيئها
وجوب الإيمان بها
قربها
عمر الدنيا
أشراط الساعة

وهذا كالمقدمة للبحث
من صفحة ١١ إلى صفحة ٢٨.



السّاعة

الأصل فيها: القطعة من الزمان.

وصارت في عرف أهل الميقات ١/٢٤ من اليوم والليلة.

أما هنا فتطلق على معان متعددة:

١ - قد تطلق ويراد بها الطامة الكبرى وهي بعث الناس للمحاسبة.

٢ - وقد تطلق ويراد بها النفخة الأولى للإماتة العامة.

٣ - وقد تطلق ويراد بها إماتة الجماعة وانخرام القرن.

٤ - وقد تطلق على من مات وحده

وعن الراغب:[١]

الساعة ثلاثة:

كبرى: وهي بعث الناس للمحاسبة.

وسطى: وهي موت أهل القرن الواحد (إن يطل عمر هذا الغلام لم يمت حتى تقوم الساعة).

---

(١) يراجع فتح الباري جـ١١ ص ٣٦٤.

صغرى: وهي موت الإنسان. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عند هبوب الريح (تخوفت الساعة) يعني موته.

أقول:

وقد جاءت الأحاديث تؤيد هذه المعاني.

فقد روى الديلمي عن أنس رضي الله عنه مرفوعا بلفظ «إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته[1].

فهذا الحديث يدل على أن من مات فقد قامت قيامته.

وروي عن عائشة رضي الله عنها: كان رجال من الأعراب جفاة يأتون النبي ﷺ فيسألونه متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم[2]

فهذا الحديث يدل على أن الساعة هنا أريد بها انخرام قرن الصحابة.

وروي عن عبد الله بن مسعود[3] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة إلا على شزار الخلق.

فهذا الحديث يدل على أن المراد بالساعة النفخة الأولى.

وقال الله تعالى: «بل الساعةُ موعدهم والساعة أدْهى وأمرّ»

فالمراد بالساعة هنا ما يكون بعد النفخة الثانية من الأمور الجسام بدليل قوله بعد ذلك: «إن المجرمين في ضلال وسُعُر. يوم يُسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر».[4].

فهذه أدلة الإطلاقات الأربعة. غير أننا نلاحظ أن الأول منها، الذي رواه الديلمي عن أنس: إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته لم يرد بلفظ الساعة، بل جاء بلفظ القيامة.

---

(١) يراجع مرقاة المفاتيح جـ٥ ص ٢٢٣.

(٢) رواه البخاري في باب الرقاق. ولمسلم في باب قرب الساعة مثله عن عائشة وأنس.

(٣) رواه مسلم في باب قرب الساعة جـ١٨ بشرح النووي.

(٤) الآيات الثلاث من سورة القمر ٤٦، ٤٧، ٤٨.

وقد قصدت بالساعة في هذا البحث: الساعة بمعنى وقت النفخة الأولى.

وقصدت بما بين يديها: الأشراط والعلامات التي تسبقها وتدل عليها، وتنبه الناس إلى مجيئها، وإلى قرب مجيئها. وذلك ليستعدوا لها بالعمل والتوبة قبل وقوعها.

وهذه العلامات منها ما قد مضى.

كرسالة نبينا محمد ﷺ. المعروف أنها آخر الرسالات وبعدها تقوم الساعة.

ومثل: انشقاق القمر. وقد حصل ذلك في عهده ﷺ.

وأيضا. الروم. والدخان. والبطشة الكبرى. واللزام كما يُروى عن ابن مسعود رضي الله عنه[1].

ووقوع بعض الفتن، والزلازل، والزنا، والقتل، والخمر، والجهل، وقلة الأمانة، والعقوق، والتطاول في البنيان وغير ذلك.

أسماؤها

للساعة أسماء كثيرة، نذكر بعضها على سبيل المثال.

الساعة: قال تعالى: « اقتربت الساعة وانشق القمر »[2]

القيامة: قال تعالى « لا أقسم بيوم القيامة »[3]

الواقعة: قال تعالى: « إذا وقعت الواقعة »[4].

للقارعة: قال تعالى: « القارعة ما القارعة »[5].

---

(١) سيأتي بيان ذلك في مبحث آية « الدخان »

(٢) سورة القمر ١.

(٣) سورة القيامة ١.

(٤) سورة الواقعة ١.

(٥) سورة القارعة ١.

الحاقة: قال تعالى: « الحاقة ما الحاقة »[١].

الدين قال تعالى: « مالك يوم الدين »[٢].

الخروج: قال تعالى: « ذلك يوم الخروج »[٣].

الجمع: قال تعالى: « يوم يجمعكم ليوم الجمع »[٤].

التغابن: قال تعالى: « ذلك يوم التغابن »[٥].

الآخرة: قال تعالى: « فلله الآخرة والأولى »[٦].

الحق: قال تعالى: « ذلك اليوم الحق، فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا »[٧]..

العرض: قال تعالى: « يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية »[٨].

الحساب: قال تعالى: « ربنا اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب »[٩].

والحشر، النشور، البعث. الخ.

ونلاحظ أن اسم الساعة يختلف عن كل ما عداه من هذه الأسماء.

فاسم الساعة: يطلق على الوقت والزمان.

وما عداه من الأسماء: يشير إلى ما يقع من مشاهد ومواقف وحوادث وآثار في هذا اليوم.

ومشاهد هذا اليوم العظيم ليست موضوعنا هذا.

---

(١) سورة الحاقة ١

(٢) سورة الفاتحة ٣.

(٣) سورة ق ٤٢.

(٤) سورة التغابن ٩.

(٥) سورة التغابن ٩.

(٦) سورة النجم ٢٥.

(٧) سورة عمّ ٣٩.

(٨) سورة الحاقة ١٨.

(٩) سورة إبراهيم ٤١. وفي سورة غافر ٢٧

ولكننا نريد الوقت نفسه، وما يسبقه من علامات، كما سبق أن بيناه.

متى الساعة

الجواب معلوم ومحدد وواضح ولا خلاف فيه.

«علم ذلك عند الله تعالى وحده».

وقد أخذنا هذا الجواب من صريح القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية الشريفة.

قال الله تعالى: «إليه يُردّ علم الساعة»[١].

وقال الله تعالى: «إن الله عنده علم الساعة»[٢].

وقال الله تعالى: «يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله»[٣].

وسأل جبريل عليه السلام نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة. ومتى؟ فأجابه: ما المسئول عنها بأعلم من السائل[٤].

وسأل عيسى عليه السلام جبريل عليه السلام. متى الساعة فأجابه: ما المسئول عنها بأعلم من السائل[٥].

فالسائل والمسئول والمخلوقون جميعا، يعلمون أن وقت مجيئها لا يمكن أن يعلم. وأن ذلك مما اختص الله سبحانه وتعالى بعلمه. وهي في خمس لا يعلمهن إلا الله[٦].

(إن الله عنده علم الساعة. وينزل الغيث. ويعلم ما في الأرحام. وما تدري

---

(١) سورة فصلت ٤٧.

(٢) سورة لقمان ٣٤.

(٣) سورة الأحزاب ٦٣.

(٤) سيأتي بيانه في بحث (تطاول البنيان).

(٥) سيأتي بيانه في بحث (تطاول البنيان).

(٦) سيأتي بيانه في بحث (تطاول البنيان).

نفس ماذا تكسب غدا. وما تدري نفس بأي أرض تموت. إن الله عليم خبير)[1].

مجيئها

أما مجيئها: فيجب العلم والايمان والتسليم به. ولا يكفي في ذلك الظن. بل المطلوب هو الجزم واليقين.

والإيمان بها أحد الأركان الستة: في قوله ﷺ أن تؤمن بالله. وملائكته. وكتبه. ورسله واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشره[2].

قال تعالى: «وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور»[3]. وهذه الآية تنفي كفاية الظن.

العناية بوجوب الإيمان بالآخرة

إن قضية وجوب الايمان بالآخرة أخذت نصيبا وافرا من عناية القرآن الكريم والأديان كلها لإثباتها. وللرّد على المنكرين والشاكّين.

وإننا نجد القرآن الكريم يتحدث عن الأنبياء السابقين وعن رسالاتهم وعقائدهم ومنها البعث واليوم الآخر والجنة والنار. ووالجزاء الخ.

فعن آدم عليه السلام يتحدث القرآن الكريم. ويبيّن في قصته الإشارة إلى يوم القيامة. فيقول الله تعالى:

«ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى»[4] وفي الحديث عن رسالة نوح عليه السلام. يقول الله تعالى:

---

(١) سورة لقمان ٣٤.

(٢) سيأتي بيانه في بحث (تطاول البنيان).

(٣) سورة الحج ٧.

(٤) سورة طه ١٢٤.

« والله أنبتكم من الأرض نباتاً. ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا »[1] و
وعن ابراهيم عليه السلام يقول الله تعالى:
« رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن مفيهم بالله واليوم الآخر »[2].

وعن يعقوب ويوسف عليهما السلام. يقول تعالى:
« إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابراهيم وإسحق ويعقوب »[3].

وعن شعيب عليه السلام يقول الله تعالى: « وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر »[4]

وعن داود عليه السلام. يقول تعالى:

« يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب »[5].

وعن سليمان عليه السلام. يقول الله تعالى:

« ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق »[6].

وعن موسى عليه السلام. يقول تعالى:

« إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتُجري كل نفس بما تسعى »[7].

---

(١) سورة نوح ١٧، ١٨.
(٢) سورة البقرة ١٢٦.
(٣) سورة يوسف ٣٧، ٣٨.
(٤) سورة العنكبوت ٣٦.
(٥) سورة ص ٢٦.
(٦) سورة البقرة ١٠٢.
(٧) سورة طه ١٥.

وقال تعالى عنه أيضاً:

« وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب »[1].

وعن عيسى عليه السلام قال الله تعالى:

« والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيّاً »[2].

وقال تعالى.

« وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار »[3].

تلك آيات بينات ذكرناها دليلا على عناية الرسالات بأمر الآخرة، والدعوة إليها، والتحذير من تكذيبها..

أما رسالة محمد ﷺ فهي مليئة بذكر الآخرة. وقدرة الله على الإعادة، وما يكون من الثواب. والعقاب، ومن انشقاق وانفطار.

وسنتحرك قليلا داخل القرآن الكريم، ونعرض لبعض آياته، لنرى ما كان من انكار وتكذيب لهذا اليوم الحق. ومن استبعاد واستغراب. وكيف أجاب القرآن الكريم على كل مكابر أو سائل بما يحجّه ويدمغه، ويلزمه بالإيمان والتسليم، والتصديق كل التصديق.

قال الله تعالى « بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب. أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد »... « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها... والأرض مددناها.. ونزلنا من السماء ماء مباركا... ...كذلك الخروج »[4].

وقال تعالى: « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه. قال من يحيى العظام وهي

---

(١) سورة غافر ٢٧.

(٢) سورة مريم ٣٣.

(٣) سورة المائدة ٧٢.

(٤) سورة ق ٢ - ١١

رميم. قل يحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم »... « أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم. بلى. وهو الخلاق العليم »[١]

فهاتان الآيتان تردان على الناس استغرابهم واستبعادهم وتثبت لهم بالحجة القاطعة إمكانيته وسهولته.

وهذه مجموعة أخرى من الآيات القرآنية الكريمة تؤكد عناية الرسالة المحمدية بإثبات عقيدة البعث، والجزاء.

قال تعالى: « وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة. إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين »[٢].

وقال تعالى: « ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين »[٣].

وقال تعالى « وإنه لعلم للساعة فلا تمترُنّ بها واتبعون هذا صراط مستقيم »[٤].

وقال تعالى: « إن الساعة لآتية لا ريب فيها. ولكن أكثر الناس لا يؤمنون »[٥].

وقال تعالى: « وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة. قل بلى وربي لتأتينكم »[٦].

وقال تعالى: « بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا »[٧].

---

(١) سورة يس ٧٨ - ٨١.
(٢) سورة الجاثية ٣٢.
(٣) سورة الملك ٢٥، ٢٦.
(٤) سورة الزخرف ٦١.
(٥) سورة غافر ٥٩.
(٦) سورة سبأ ٤
(٧) سورة الفرقان ١١.

وقال تعالى: «وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور»[1].

وقال تعالى: «ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة[2].

وقال تعالى: «ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون»[3].

وغير هذه الآيات كثير لا يُحصى.

ومن مجموع ذلك تستخلص الحقائق التالية:

١ - لا يعلم وقت مجيئها إلا الله تعالى. وأي محاولة لمعرفة وقتها مصيرها الفشل.

٢ - وقتها عند الله تعالى محدد. لا تتقدم عنه ولا تتأخر وعندما تأتي، تأتي بغتة فتبهت الناس.

٣ - يجب الإيمان حتما بمجيئها.

قرب الساعة

لا شك أن الساعة أصبحت قريبة. حتى ولو كان الباقي في الدنيا عشرات من السنين. أو مئات أو آلاف. فما دامت آتية فكل آت قريب. وعالم الله سبحانه وتعالى واسع عريض. وإن يوما عند ربك كألف سنة مما يعدون. فالأرقام الحسابية زادت أو نقصت لا تدل على قصر أو طول. حسب علم الله تعالى. وكما مرّ الماضي يمرّ الباقي من عمر الدنيا وتذهب الدنيا ويأتي بعدها اليوم الموعود. يوم الخلود.

---

(١) سورة الحج ٧.

(٢) سورة الحج ٥٥

(٣) سورة سبأ ٢٩ - ٣٠.

والإيمان بهذا القرب واجب أيضا. كالإيمان بالمجيء. فالأدلة على ذلك عديدة وصادقة.

قال تعالى: «وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب»[١].

وقال تعالى: «وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر»[٢].

وقال تعالى: اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون»[٣].

وقال تعالى: «اقتربت الساعة وانشق القمر»[٤].

وقال تعالى: «أتى أمر الله فلا تستعجلوه»[٥].

وعن سهل رضي الله عنه قال، قال ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين. ويشير بإصبعيه ويمدهما.[٦]

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين. كفضل إحداهما على الأخرى. وضم السبابة والوسطى.

وفي رواية: بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الأخرى[٧]وعن المستورد بن شداد عن النبي ﷺ: قال: بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى[٨].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع[٩].

---

(١) سورة النحل ١٧٧.

(٢) سورة القمر ٥٠.

(٣) سورة الأنبياء ١.

(٤) سورة القمر ١

(٥) سورة النحل ١.

(٦) رواه البخاري في الرقاق ومسلم في قرب الساعة.

(٧) رواه البخاري في الرقاق ومسلم في قرب الساعة.

(٨) رواه الترمذي وقال حديث غريب. وأخرجه الطبري. تحفة الأحوذي جـ٦ ص ٤٥٩.

(٩) رواه البيهقي في شعب الإيمان. مرقاة المفاتيح جـ ٥ ص ٢٢٥.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: ما أجلكم في أجل من كان قبلكم إلا من صلاة العصر إلى مغرب الشمس.

وبلفظ آخر: ما بقي لأمتي من الدنيا إلا كمقدار إذا صليت العصر.
وبلفظ آخر: كنا عند النبي ﷺ والشمس على قيقعان مرتفعة بعد العصر فقال: ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من هذا النهار فيما مضى منه[١].

فبعض الآيات صرح بالقرب. والبعض قال أتى وهو كناية عن القرب. كما أن هذه الأحاديث تفيد القرب أيضا.

قال[٢] القرطبي: حاصل الحديث: تقريب أمر الساعة وسرعة مجيئها.. وقيل معناه: استمرار دعوته إلى قيام الساعة وليس بينهما نبي[٣].

وقيل: هو إشارة إلى قدر ما بينهما. فنسبة ما بين الأصبعين في الطول كنسبة ما بقي من الدنيا إلى ما مضى منها.

قال ابن العربي: قيل: الوسطى تزيد على السبابة ٢/١ سبعها وكذلك الباقي من الدنيا. من البعثة إلى قيام الساعة ٢/١ سبع جملتها.

ولما كانت الدنيا ٧٠٠٠ سنة. كما ذكر ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة - وهذا باعتبار أن اليوم ١٠٠٠ سنة. كما قال تعالى (وإنه يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) فيكون ٢/١ سبعها ٥٠٠ سنة.

قال ابن العربي: وهذا بعيد.ولا يُعلم مقدار الدنيا. فكيف يتحصل لنا ٢/١ سبع أمد مجهول؟! فالصواب الإعراض عن ذلك.

وذكر ابن جرير عن كعب الأحبار قال:؛ الدنيا ٦٠٠٠ سنة وعن وهب بن منبه: مثله. وأن الذي مضى ٥٦٠٠ سنة.

---

(١) رواه مسلم في قرب الساعة. وقال في فتح الباري جـ١١ ص ٣٥٠ رواه الشيخان.
(٢) يراجع فتح الباري جـ١١ ص ٣٥٠.
(٣) هذا معنى قوله ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين.. الحديث.

ثم زيّف ابن جرير قولها. ورجح ما جاء عن ابن عباس.

وروى أبو داود عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال: إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم. قيل لسعد: وكم نصف يوم؟ قال: خمسمائة سنة.

قالوا: ولعله ﷺ أراد بالخمسمائة أن يكون بعد الألف السابعة.

والأصح: عدم صحة ذلك كله. لوقوع خلافه ومجاوزة هذا المقدار. ولو كان ثابتا لم يقع خلافه.

وحديث ابن عمر المتقدم صحيح متفق عليه. فالصواب الاعتماد عليه. وأن المراد بالتشبيه التقريب. ولا يراد حقيقة المقدار. اهـ

أقول:

وفيما ذكره «ابن حجر» الحكمُ الصحيح. وأنه لا صحّة لما ورد عن عمر الدنيا. لما فيه من تعارض فتارة يجعلونه ٧٠٠٠ سنة وتارة ٦٠٠٠ سنة. كما أن فيما قالوه تكلفا لا يُحتمل. فكيف أن ما بين الأصبعين ٢/١ سبع جملتها. وأن الدنيا جمعة. والجمعة ٧٠٠٠ سنة. وما مضى كذا. فما بقي يكون كذا..؟!

كل هذه مقدمات لا أسلّم بواحدة منها. فكيف أسلّم بالنتيجة.

فالأمر ليس إلا أنه من الإسرائيليات الغريبة.

سؤال:

هل تتعارض أحاديث: بعثت أنا والساعة... مع قوله تعالى (إن الله عنده علم الساعة)؟

الجواب:

لا تعارض. لأن الآية الكريمة أفادت أن علم وقت مجيئها محجوب عنا. والأحاديث إنما أفادت العلم بمجكيئها وبقربها. وهذان الأخيران سبق الإشارة إلى وجوب العلم بهما. بخلاف االأول وهو علم وقتها. فذلك لا يعلمه إلا الله.

رأي آخر في عمر الدنيا

روى معمر في الجامع قال: بلغني عن عكرمة في قوله تعالى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)[١] قال: الدنيا من أولها إلى آخرها يوم مقداره خمسون ألف سنة. لا يدري كم مضى ولا كم بقي إلا الله تعالى[٢].

وأقول: قوله لا يدري.. الخ هذا صحيح. أما تفسيره هذا اليوم بأنه يوم الدنيا. فلا أجد له دليلا يقنعنا به.

وللسهيلي رأي مبني على عدد الحروف التي في أوائل السور عدّاً أبجدياً. أذكره للعلم به لا لاعتقاده.

ذكره ابن حجر[٣] وقال: ثبت عن ابن عباس الزجر عن عدّ أ ب ج د. والإشارة إلى أن ذلك من السحر. وليس ذلك ببعيد. فإنه لا أصل له من الشريعة.

وقال القاضي ابن العربي: ومن الباطل الحروف المقطعة في أوائل السور. إلا أني أقول: إنه لولا أن العرب كانوا يعرفون أن لها مدلولاً وتداولاً بينهم لكانوا أول من أنكر ذلك على النبي ﷺ. بل تلا عليهم: ص، حم وغيرها فلم ينكروا ذلك. بل صرحوا بالتسليم له في البلاغة والفصاحة مع تشوفهم إلى عثرة. وحرصهم على زلة. فدل على أنه كان أمرا معروفا بينهم لا إنكار فيه. اهـ.

وأنا أقول: إن بين أيدينا كثيرا من الكتب العلمية دينية ولغوية. اختتمها مؤلفوها بتأريخها بهذه الحروف. وجلهم من العلماء العارفين. فاستعمال الحروف كرموز لأعداد أمر ليس من السحر ولا من الحرام. وإن كان السحرة قد استعملوه في باطلهم واعتمدوا عليه لكشف المستقبل وبيان الحقيقة. وهذا خرافة. فهل كل من اتحدت أسماؤهم وتشابهت أسماء آبائهم وأمهاتهم يكونون

---

(١) سورة المعارج ٤.

(٢) يراجع فتح الباري جـ١١ ص ٣٥٢.

(٣) فتح الباري جـ١١ ص ٣٥١.

أصحاب حظٍ واحد. وتتشابه حياتهم! كما يدّعون أن مواليد نجم واحد يكونون على نمطٍ واحد. يموتون ويمرضون ويسعدون ويشقون معاً كما وُلدوا معاً.

إن هذه الخرافة ما بعدها خرافة.

يمكن أن تؤدي الحروف ما تؤديه الأرقام من دلالات ومعاني ومفهومات أما أنها تتحكم في المصائر والأحوال. فهذا لا يصدقه العقل.

وكيف يتذبذب ابن العربي؟ فيقول: إن ذلك العمل من الباطل ثم يستدل على صحته بتسليم العرب لما نزل في أوائل السور من حروف مقطعة. ولم ينكروها مع حرصهم على زلة.

مَنْ هؤلاء مِنَ العرب الذين يقصدهم ابن العربي؟ المؤمنون أم الكافرون،.. أما المؤمنون فيقولون آمنا به كل من عند ربنا. وأما الكافرون فلم يسلّموا المحكم من الآيات فكيف يسلمون بالمتشابه؟ إنهم لم يسلّموا بالقرآن كله وإن عجزوا عن الإتيان بمثله أو بمثل سورة منه.

وإذا افترضنا أن لهذه الحروف التي في أوائل بعض سور القرآن الكريم مدلولاً متداولاً، وأن هذا المدلول هو قياس الزمن، وأن العرب كانوا يعرفونه. فلماذا لم يذكره أصحاب مدارس التفسير في العصر الأول ومن بعدهم؟ لقد ذكروا لهذه الحروف معاني مختلفة ومتعددة اجتهاداً منهم ومحاولة لفهمها أو توقفا من بعضهم ليسلم من الوقوع في الخطأ وأي خطأ هذا الذي يقع في معاني كلام الله تعالى؟!

إن ابن عباس رضي الله عنهما، زجر عن عدّ ا ب ج د سدّاً للذريعة وخشية التشبه بما يفعله السحرة. وإن استعمال الحروف للدلالة على أي معنى أمر لا غبار عليه. وقديما وحديثا يستعمل الناس رموزا وإشارات خطية أو حركية ويقصدون بها دلالات خاصة. كاستعمال الأصابع في عقد السبعين، والتسعين وغيرها. وكاستعمال النقطة والشرطة. أو الحركة والسكون في البرقيات أو وزن الشعر. ورسم بعض الصور لتسجيل غزو أو نصر أو رخاء.

لكن الذي لا يروق لي، هو أن نعطي هذه الحروف أكثر من قدرها. وأن نقول فيها ما لم يقله نبي أو صحابي أو تابعي.

إننا لو سلكنا هذا السبيل. لأدّى بنا إلى متاهة سحيقة وصرنا نتلمس لكل كلمة ولكل حرف. مدلولا أيّ مدلول. وصيّرنا القرآن رموزا وإشارات. وضللنا مع الضالين.

إن عدّ الحروف بخصوصه جاء عن بعض اليهود[1] وحملوا الحروف التي في أوائل السور على هذا الحساب. واستقصروا مدة محمد ﷺ أول ما نزل، الم، الر. فلما نزل بعد ذلك: المص، طسم، وغير ذلك، قالوا ألبست علينا الأمر.

أقول: إن أكثر هذه السور المفتتحة بالحروف المقطعة، بل كلها إلا القليل منها، نزل في مكة قبل الهجرة فكيف أن اليهود بنوا نظريتهم عكسيا؟! وكيف حصل لهم اللبس.!

وإذا كان اليهود أنفسهم ظنوا ذلك ثم رجعوا عنه لما ألبس عليهم الأمر. فمعنى هذا بوضوح: أن هذه الحروف لم يقصد منها ما يتوهمونه هم أو غيرهم..

وعلى تقدير أن عد الحروف مراد[2].

فإما أن يحمل على جميع الحروف الواردة ولا يحذف المكرر. فإنه ما من حرف منها إلا وله سر يخصه.

أو يقتصر على حذف المكرر من أسماء السور. ولو تكررت الحروف فيها.

أما لو حذفنا كل الحروف المكررة. فإن العدد الحاصل لنا هو ٩٠٣ سنة على طريقة عدّ المغاربة، ٦٩٣ على طريقة عدّ المشارقة فالسّين عند المغاربة بـ ٣٠٠ والصاد بـ ٦٠

وعند المشارقة السّين بـ ٦٠ والصاد بـ ٩٠.

وهذا العدد ظاهر الخطأ والبطلان لأنه قد مضى أكثر منه فليس أمامنا إلا اختيار إحدى الطريقتين السابقتين. إما عدّ جميع الحروف. وإما حذف المكرر من أسماء السور، دون المكرر فيها.

---

(١) حكى ذلك ابن إسحق في سيرته ويراجع فتح الباري جـ١١ ص ٣٥١.
(٢) يراجع فتح الباري جـ١١ ص ٣٥٢.

وإذا نظرنا إلى جميع الحروف الواردة بدون حذف المكرر فإن السور التي ابتدئت بذلك ٢٩ سورة وعدد حروف الجميع ٧٨ حرفاً وهي: الم ٦ ، حم ٦ ، الر ٥ ، طسمـ ٢ ، المص ، المر ، كهيعص ، حمعسق ، طه ، طس ، يس ، ص ق ، ن.

ومجموعها على طريقة المشارقة ٣٣٤٥ وعلى طريقة المغاربة ٤٤٥٥..

وإذا حذفنا ما كرر من السور. وهي خمس من الم ، خمس من حم. وأربع من الر ، وواحدة من طسم، بقي ١٤ سورة وعدد حروفها ٣٨ حرفاً ومجموعها على طريقة المشارقة ١٧٥٧ وعلى طريقة المغاربة ٢٦٢٧ اهـ وبعد. فليس شيء من ذلك عندي إلا وهم وتخمين. ولن تقوم عقيدة على غير دليل وحجة قوية.. ويكفي أن هؤلاء الباحثين الذين أتعبوا أنفسهم في هذا الحساب. يكفيهم أنهم لم يقطعوا برأي يُعتمد عليه. فإنهم يقولون: إن نظرنا إلى كذا كان كذا وإن . كان.. وعلى حساب المشارقة كذا والمغاربة كذا.

هل يوجد من يصدق هذا؟ أعتقد تماما أن الذين قالوه لم يصدقوه. وما مثل ذلك إلا كمثل لعب الأطفال في الرمال وإقامة بيوت عليها لا تلبث أن تنهار وتتبدد. للتسلية لا للفائدة.

إن الحساب لن يفيد شيئا في الوصول إلى معرفة وقت الساعة. لا تحديداً ولا تقريبا.

ولو تدبرنا قول الله تعالى.

« هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون »[1] وقوله تعالى:
« فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها »[2]
وقوله تعالى:
« بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم يُنظرون[3] »

لو تدبرنا هذه الآيات وغيرها. لتركنا كل محاولة وكل تفسير غير معقول

---

(١) سورة الزخرف ٦٦

(٢) سورة محمد ١٨.

(٣) سورة الأنبياء ٤٠.

وغير مقبول. ما دام الأمر سيؤدي بنا إلى طريق مسدود. ونبوء بالفشل.

إن إيماننا يلزمنا بأن نفوض علم وقتها لله تعالى وأن نلزم حدودنا من العجز والجهل.

ويكفي، أو يجب أن نفهم ونعلم ما يمكن أو يجب أن نعلمه ونؤمن به.

١ - نعلم أن الساعة آتية لا ريب في ذلك.

٢ - نعلم أن الساعة ستأتي بغتة.

٣ - نعلم أنها أصبحت قريبة. وأن كل آت قريب.

٤ - نعلم أن لها علامات تسبقها. وتدل عليها.

وحيث تكلمنا عن الساعة، ومجيئها، وقربها،

فعلينا أن ننتقل إلى الحديث عن أشراطها، وهو مدار البحث..

أشراط الساعة

أشراطها: أي علاماتها الدالة عليها. وهي أنواع:

١ - نوع يظهر أخيرا ويكون مقارنا لقيامها، فتقوم على اثره.

٢ - ونوع يظهر قريبا من قيامها، في فترة زمنية محدودة.

٣ - ونوع يسبقها ويدل على دنوها وقربها، ويتقدمها بمدة أطول

ومن الأول: نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر.

ومن الثاني: الدجال، نزول عيسى، طلوع الشمس من مغربها.

ومن الثالث: كثرة الفتن، الزنا والقتل، والجهل، والمال.

وسنتكلم على كل علامة من علاماتها بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

الآيات الصغرى
الدّالة على دنوّ الساعة

لا تقوم إلا على شرار الناس
رفع الأمانة
كثرة المال
رفع العلم . شرب الخمر . الزنا . القتل . قلة الرجال
التطاول في البنيان
كثرة الفتن والزلازل
ظهور دجالين كذابين
قتال اليهود
قتال الترك . وغدر الروم
الملحمة الكبرى
فتح القسطنطينية
خروج رجل من قحطان
غزو الكعبة وهدمها

وهذا هو القسم الأول من البحث
من صفحة ٣١ - ٦٣ .

لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما من عام إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم. سمعت هذا من نبيكم ﷺ[1].

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله. الله

وفي رواية: لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله[2]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق[3].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يذهب الليل والنهار حتى يعبد اللات والعزى فقلتِ: يا رسول الله. إن كنت لأظن حين أنزل الله (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

---

(١) رواه الترمذي وقال حسن صحيح. قال في تحفة الأحوذي جـ٦ ص ٤٥١ وأخرجه البخاري في الفتن.

(٢) أخرج الترمذي الرواية الأولى وقال: حسن. وروى عنه غير مرفوع وهو أصح سنداء وروى مسلم الثانية في قرب الساعة. وانظر جامع ص ٨٢.

(٣) رواه مسلم في قرب الساعة.

ولو كره المشركون) أن ذلك تاما. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله. ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. فيبقى من لا خير فيه. فيرجعون إلى دين آبائهم.[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إن الله يبعث ريحا من اليمن ألين من الحرير. فلا تدع أحدا في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته[٢].

وعن عبد الرحمن بن شماسة. قال النبي ﷺ: لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله. قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك. ثم يبعث الله ريحا كريح المسك مسّها مس الحرير. فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته. ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة[٣].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج الدجال فيمكث أربعين. لا أدري أربعين يوما أو شهرا أو عاما. فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه. ثم يمكث في الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته. حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه. قال: فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع[٤] لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا. فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستحيون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن.

(٢) انظر جامع الأصول جـ١١ ص ٨٥ رواه مسلم.

(٣) أخرجه مسلم. انظر جامع الأصول جـ١١ ص ٨٥.

(٤) شبههم ﷺ في اختلال رأيهم وعدم ثباتهم بحال الطير وشبههم في نقص علمهم وضعف عقولهم وطيشهم بأحلام السباع.

بعبادة الأوثان[1] وهم في ذلك دارّ رزقهم حسن عيشهم[2] ثم ينفخ في الصور الخ[3]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة[4] وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدونها في الجاهلية[5].

وهذا الذي ذكرته قليل من كثير مما ورد في هذا الباب. فخير القرون قرن رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. وكل زمان يمر يكون الذي بعده شرا منه حتى يقبلض الله العلم بقبض العلماء. فتقوم الساعة على قوم هم شر الناس. نعوذ بالله الرحمن الرحيم.

رفع الأمانة

هذه ظاهرة ثانية من علامات اقتراب الساعة.

والخيانة لا تتفق مع الإيمان. فإذا رفعت الأمانة فعلى الدنيا السلام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم. جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث. فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه. قال: أين أراه السائل عن الساعة؟ قال ها

---

(١) إنما أمرهم الشيطان بعبادة الأوثان ليتوسلوا بها إلى رضا الرحمن.

(٢) أي والحال أنهم في سعة من الرزق وأمن وسعادة.

(٣) رواه مسلم في ذكر الدجال.

(٤) ذو الخلصة: صنم أو بيت كان فيه صنم لدوس. وقيل: هو الكعبة التي كانت باليمن فأنفذ إليها ﷺ جرير بن عبد الله فخرّبها والمعنى أنهم يرتدون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان فتسعى نساء دوس (قبيلة باليمن) طائفات حول ذي الخلَصَة. تترنح أعجازهن وتضطرب إلياتهن كما كانت عادتهن في الجاهلية.

(٥) متفق عليه. انظر المرقاة جـ٥ ص ٢٢٦ ومسلم في كتاب الفتن.

أنا يا رسول الله. قال: فإذا ضيعت الإمانة فانتظر الساعة. فقال: كيف إضاعتها: قال: إذا وسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة.[١]

ومفهوم الحديث: أنه سيؤتمن الخائن. وهذا لغلبة الجهل. وضعف أهل الحق عن نصرته والقيام به. فيتقلد غير أهل الدين أمور الدين كالخلافة والقضاء والإفتاء. وفي هذا ضياع الأمانة. ثم قيام الساعة.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر. حدثنا أن الأمانة نزلت في جَذْر قلوب الرجال[٢] ثم علموا من القرآن ثم علموا من السّنة. وحدثنا عن رفعها. قال: ينام[٣] الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت[٤] ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المَجْل[٥] كجمر[٦] دحرجته على رجلك فنفِط[٧] فتراه منبترا. وليس فيه شيء. فيصبح الناس يتبا يعون. فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة. فيقال إن في بني فلان رجلا أمينا. ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. ولقد أتى عليّ زمان وما أبالّي أيكم بايعت. لئن كان مسلما رده عليّ الإسلام. وإن كان نصرانيا ردّه عليّ ساعيه.[٨] فأما اليوم[٩] فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا.[١٠]

---

(١) رواه البخاري. كتاب الرقاق. باب رفع الأمانة.

(٢) الجذر: الأصل من كل شيء.

(٣) النوم كناية عن ذهاب الأمانة وقت الغفلة وضعف العقيدة والإيمان.

(٤) الوكت: أثر الشيء اليسير منه.

(٥) المَجْل: أثر العمل في الكف إذا غلظ.

(٦) كأثر جمر.

(٧) نَفِطَ وانبَر الجرح. أي انتفخ وأمتلأ ماءً.

(٨) فقد يكون الساعي مسلما

(٩) أي بعد مرور الزمان الأول

(١٠) رواه البخاري. كتاب الرقاق. باب رفع الأمانة.

كثرة المال

أصبح المال في هذا الزمان في يد فئة غير قليلة يمثّل أرقاما لا يستطيع صاحبه حسابها. وقديما أعطى الله تعالى قارون مالا وكنوزا ما إن مفاتحه لتنوؤ بالعصبة أولى القوة.

ولكن مع ذلك توجد الأكثريات من الناس لا يجدون منه حاجتهم. ويجرون وراءه. ويبحثون عنه. بالتجارة والزراعة والصناعة. والاستثمار بأي شكل كان. وبالاستدانة وطلب المعونة. وقبول الصدقة.

والذي سيكون من علامات الساعة. إنما هو وفرة هذا المال حتى لا يوجد من يقبله أو يقبل الصدقة.

إما لأن الأرض سيبارك فيها وتعطي خيراتها.

وإما لأن بعض الجبال والأنهار يحسر عن كنز من الذهب.

وإما لتقدم العلم فتحصل أوفر الثمرات بأقل جهد.

وإما لزهد الناس في المال وتحصيله وجمعه لإحساسهم بقرب الساعة. عندما يشاهدون بعض آياتها العظام.

وإما لغير ذلك.

المهم أن الأحاديث كثيرة في هذا المجال. وأن كثرة المال ستكون على مستوى مفرط غير حاصل أو مألوف من قبل.

فيحصل من رؤيته كذلك العلم بقرب الساعة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض. حتى يخرج الرجل زكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه. وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا.[١]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم. يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده.[٢]

---

(١) رواه مسلم. يراجع جامع الأصول جـ ١١ ص ٨٧

(٢) رواه مسلم في الفتن. قال النووي: ذلك لكثرة المال، وسخائه. وقال ابن الملك: يظهر له كنوز =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: يوشك الفرات أن يحسُرِ عن كنز من ذهب. فمن حضره لا يأخذ منه شيئا.[1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون. ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو.[2]

وعنه رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوانة من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت. ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي. ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدى. ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا.[3]

وعن حارثة بن وهب قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: تصدقوا فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها. يقول الرجل: لو جئت بها بالأمس لقبلتها. فأما اليوم فلا حاجة لي بها.[4]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض. حتى يهم رب المال من يقبل صدقته. وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي[5]

وعن عدي بن حاتم يقول: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجلان أحدهما يشكو العيلة والآخر يشكو قطع السبيل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما قطع السبيل فإنه لا يأتي عليك إلا قليل حتى تخرج العير الى مكة بغير خفير. وأما العيلة فإن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم

= الأرض ويعلم الكيمياء. أو من كرامته ينقلب الحجر ذهبا. (راجع مرقاة المفاتيح جـ ٥ ص ١٧٣)

(١) رواه البخاري في الزكاة. ومسلم في كتاب الفتن.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن. وفي تيسير الوصول جـ ٢ ص ٩٠ أخرجه الخمسة إلا النسائي

(٣) رواه مسلم. انظر جامع الأصول جـ ١١ ص ٨٣

(٤ - ٥) رواهما البخاري في كتاب الزكاة.

بصدقته لا يجد من يقبلها منه.. الحديث. وفيه.. فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة. فإن لم يجد فبكلمة طيبة.[1]

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب. ثم لا يجد أحدا يأخذها منه. ويُرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلُذْن به من قلة الرجال وكثرة النساء[2]:

رفع العلم. شرب الخمر. الزنا. قلة الرجال. القتل

لا حول ولا قوة إلا بالله. هكذا سيضطرب آخر الزمان ويفسد حال أهله.

فتحقق هذه الأمور. الجهل، الخمر، الزنا، كثرة النساء مع قلة الرجال، القتل: كل ذلك مشعر باختلال الضروريات الواجب رعايتها في جميع الأديان. ففي حفظها صلاح المعاش والمعاد. وبضياعها يكون الفساد كل الفساد.

وهذه الضروريات هي: الدين، العقل، النفس، المال، النسب.

فإذا رفع العلم أخل ذلك بحفظ الدين.

وإذا شرب الخمر أخل ذلك بالعقل والمال.

وإتيان الزنا مخل بالنسب وبالمال.

والقتل مخل بالنفس.

وقلة الرجال تخل بالنفس والنسب والدين.

فبقلة الرجال مع كثرة النساء: يظهر الجهل. ويفشو الزنا. ويرفع العلم. فإن النساء حبائل الشيطان وناقصات عقل ودين.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من

(١ - ٢) رواهما البخاري في كتاب الزكاة وقال في فتح الباري جـ ٣ ص ٢٨٢ قال ابن التين: إنما يقع ذلك بعد نزول عيس عليه السلام حين تشبع الرمانة أهل البيت (وسيأتي في نزول عيس).

أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا.[1]، [2]

وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أن من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل. ويظهر الزنا. وتكثر النساء. ويقل الرجال. حتى يكون للخمسين امرأة القيم الواحد[3]، [4]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقبض العلم. ويظهر الجهل والفتن ويكثر الهرج[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء. حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا. فسئلوا. فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا.[2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا اتخذ الفي دولا[3] والأمانة مغنما[4]. والزكاة مغرما[5] وتعلم لغير الدين[6]. وأطاع

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم. والترمذي في أشراط الساعة وقال حسن صحيح.

(٢) رفع العلم وقبضته يكون بموت العلماء لا بمحوه من الصدور. والمراد بشرب الخمر وظهور الزنا: كثرتها وانتشارهما والاستعلان بها. حتى يأتي الرجل المرأة علانية أمام النساء. ويأتي محرمه كذلك.

(٣) رواه البخاري في كتاب العلم.

(٤) سبب قلة الرجال وكثرة النساء: إما كثرة قتل الرجال بسبب الفتن. أو كثرة ولادة الإناث دون الذكور. والقيّم: من يقوم بالأمر عليهن سواء كان وليا أو زوجا. فقد يتزوج الرجل حينذاك هذا العدد أو يتزوج من لا تحل له غير مبال بالحرمة

(١) الهرج: القتل. قيل بلسان الحبشة. والحديث رواه البخاري في كتاب العلم.

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب العلم.

أي استأثر بالفيء الأقوياء.

(٤) أي اغتصب الأمين الأمانات.

(٥) أي شق عليهم إخراج الزكاة.

(٦) أي كان التعلم للمال أو للجاه مثلا.

الرجل امرأته وعق أمه.

وأدنى صديقه وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد. وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلُهم. وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات والمعازف.

وشرِبُت الخمور. ولعن آخر هذه الأمة أولها. فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا. وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع.[(٧)] [(٨)]

أقول: إن النفس تكاد تختنق إذا ما رأينا بعض هذه الآيات في المجتمع. وفي حالات محدودة وضيقة. فكيف بنا إن شاعت وكثرت واجتمعت. وأصبح الناس فوضى لا تجمعهم شريعة ولا يحكم فيهم خلق أو رأى؟

هل يمكن أن يسمي هذا عالما بشريا آدميا؟ أو هم أنعام بل أضل سبيلا من الأنعام.؟

التطاول في البنيان

منذ قديم والناس يتطاولون في البنيان. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك. ولعل النهي إذا كان التطاول لغير حاجة ولمجرد التفاخر والتعاظم.

وبنيت الأهرامات منذ آلاف السنين. وبنيت الأبراج وناطحات السحاب في الدول الكبرى ثم في سائر البلدان.

وليس هذا هو المقصود بأنه آية وعلامة من علامات قرب الساعة.

بل المقصود هو تطاول طائفة معينة كانت بعيدة عن التفكير في ذلك.

---

(٧) فإن الآيات ستأتي متتابعة كعقد قطع سلكه فتتابعت حباته في السقوط.

(٨) الحديث رواه الترمذي. وقال غريب. في سنده رميح الجذامي وهو مجهول يراجع تحفة الأحوذي ص ٤٥٧ جـ ٦

وكانت طبيعتها غير مؤهلة له. والشيء إذا صدر عن غير أهله كان غريبا وعجيبا. وآخر الزمان يتميز بكثرة الغرائب والعجائب. وتبدل الأحوال وتغيرها عن نظامها وعادتها.

فأهل البادية ألفوا حياة العراء أو الخيام. وبينهم وبين القصور وسكناها بون شاسع. فإذا ما وجدناهم يتكاثرون في البنيان ويتطاولون فيها. قلنا: دنت الساعة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان...... الحديث. وفيه.. قال: متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. وسأخبرك عن أشراطها. إذا ولدت الأمة ربّها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان. في خمس لا يعلمهن إلا الله. ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام. الآية). ثم أدبر. فقال: ردّوه. فلم يروا شيئا. فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم.[1]

ولهذا الحديث طرق والفاظ مختلفة.

وفي بعض الروايات. ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أشراط والثالث: ترأس الحفاة. وفي رواية: أن تصير الحفاة العراة ملوك الأرض.

في هذا الحديث سأل جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة؟ أي متى يأتي هذا اليوم؟ فلم يجب ثلاثا. ثم نفى علم وقتها. أما علم مجيئها فمقطوع به والسائل والمسئول متساويان في العلم بأن الله تعالى استأثر بعلم وقت مجيئها.

فالمقصود بهذا السؤال وجوابه. كف السامعين عن السؤال عن وقت الساعة. لأنهم كانوا قد أكثروا السؤال عنها.

وروي عن الشعبي: أن عيس عليه السلام سأل جبريل عليه السلام عن

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان والتفسير. ومسلم في كتاب الإيمان

الساعة. فانتفض بأجنحته وقال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل.[١]

وفي معنى العلامة الأولى. أقوال كثيرة. منها:

ولادة الأمة ربها: كناية عن اتساع الإسلام والاستيلاء على بلاد الشرك وسبي ذراريهم فيستولد المسلم جاريته فيكون ولدها بمنزلة ربها أي مالكها لأنه ولد سيدها. وهذا رأي الأكثرين.

وقيل: المعنى أن الإماء يلدن الملوك.

وقيل: هو كناية عن فساد الحال والاستهانة بالأحكام الشرعية. فيشتري الشخص أمه وهو لا يشعر وهذا من الجهل بتحريم بيع أمهات الأولاد.

وقيل: هو كناية عن كثرة العقوق، بأن يعامل الولد أمه معاملة السيد أمته. في الاهانة والسب والضرب والاستخدام.

والتعبير بالأمة يمنع من ترجيح هذا القول. إلا أن يقال: إن التعبير بالأمة ليس للتخصيص. ولكن لأنه أقرب إلى العقوق.

والعلامة الثانية: تفاخر اهل البادية بإطالة البنيان واستكثارهم منه.

قال القرطبي: المقصود الإخبار عن تبديل الحال بأن يستولي أهل البادية على الأمر ويتملكوا البلاد بالقهر فتكثر أموالهم وتنصرف هممهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به.

والتعبير بالرعاة والبهم. لبيان أنهم أبعد الناس عن الوصول إلى هذا المستوى من التطاول والتفاخر.

فهم رعاة وليسوا مالكين لما يرعون. وهم بهم مجهولون لا ذكر لهم. فتنقلب الأحوال. ويكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع.[٢]

كثرة الفتن والزلازل

قال العيني: الفتنة هي المحنة والفضيحة والعذاب.

(١ - ٢) ملخص من فتح الباري جـ ١ ص ١٢٣ وفتح المبدي جـ ١ ص ٧٧

ويقال: أصل الفتنة الاختبار. ثم استعملت فيا أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه. ثم أطلقت على كل مكروه. كالكفر والإثم والفضيحة والفجور وغير ذلك. ا. هـ.[1]

ومن الفتن ما لا يكاد يذر شيئا. ومنها كرياح الصيف. ومنها صغار ومنها كبار. والمال فتنة. والنساء فتنة. والدجال فتنة. فالفتن متفاوتة. وأشرها بلاء وخطرا. الفتنة في الدين. وقد قام رسول الله ﷺ بين أصحابه وحدثهم بما يظهر من الفتن من وقته إلى قيام الساعة. وعلّمهم الاستعاذة منها. والبعد عنها. والحذر من الوقوع فيها. والفرار إلى شعاب الجبال للسلامة من شرها. وأن يكون الإنسان فيها سلبيا. إذا لم يستطع إخمادها. ولكن لا يكون طرفا فيها ولا مساعدا لطرف.

وقد ظهرت فتن وفتن. وكل يوم جديد تحدث فتنة. حتى بلغ بعضها في الشبه كقطع الليل المظلم. تموج كموج البحر.

وأشار ﷺ إلى جهة الشرق وقال من هنا يخرج قرن الشيطان. ويظهر حزبه وأعوانه ودعاته وتأتي الفتن من جهته. وذلك ليحذرها المسلمون ما أمكنهم الحذر. فمن الشرق ظهر مسيلمة وسجاح. وجاء التتار. وسيأتي الدجال. ويخرج يأجوج ومأجوج.

وفيما يلي نجد بعض الأحاديث النبوية الشريفة تلقي أضواء على بعض هذه الفتن. وتوضح الأسلوب الذي نواجه به أو نعالج هذه الفتن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم. يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا. ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا. يبيع دينه بعرض من الدنيا.[2]

---

(١) يراجع عون المعبود جـ ١١ ص ٣٠٣

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن. والترمذي في باب ستكون فتن وقال حسن صحيح. ويراجع تحفة الأحوذي جـ ٦ ص ٤٣٨

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: تكون في هذه الأمة أربع فتن. في آخرها الفناء.[1]

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا عند عمر رضي الله عنه فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة فقلت: أنا أحفظ كما قال. قال: هات. إنك لجريء وكيف قال؟ قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره. يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فقال عمر: ليس هذا أريد. إنما أريد التي تموج كموج البحر. قال: قلت: مالك ولها يا أمير المؤمنين؟ إن بينك وبينها باباً مغلقاً. قال: فيكسر الباب أو يفتح؟ قال: قلت: لا. بل يكسر. قال: ذلك أحرى أن لا يُغلق أبدا. قال: فقلنا لحذيفة: هل كان عمر يعلم من الباب. قال: نعم. كما يعلم أن دون غد الليلة. إني حدثته حديثا ليس بالأغاليط. قال: فهبنا أن نسأل حذيفة من الباب؟ فقلنا لمسروق: سله. فسأله. فقال: عمر.[2]

وقد انطلقت الفتنة وماجت واضطرب الناس فيها بعد عمر رضي الله عنه. بمقتل عثمان رضي الله عنه. وما تلاه من الحروب بين المسلمين بعضهم مع بعض. والمحن المستمرة التي لم تنقطع أبدا. وتزداد يوما بعد يوم.

وما ورد في هذا الحديث من أن باب الفتنة يُكسر. يبعد الرجاء عن إمكان غلقه بخلاف ما لو فتح. ولذلك قال عمر: ذلك أحرى أن لا يُغلق أبدا.

وفي ذلك المعنى. رُوي عن ثوبان مرفوعا:

إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة[3]

وعن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال ﷺ: يوشك أن يكون خير

---

(١) أخرجه أبو داود. وفي عون المعبود جـ ١١ ص ٣٠٨ فيه رجل لم يسمّ

(٢) متفق عليه أخرجاه في كتاب الفتن.

(٣) رواه الترمذي وقال صحيح. يراجع تحفة الأحوذي جـ ٦ ص ٤٤٥

مال المسلم غنم يتبع بها شقف الجبال ومواقع القطر. يفر بدينه من الفتن.[1]

وعن عمران بن حصين: تكون أربع فتن: الأولى يستحل فيها الدم. والثانية يستحل فيها الدم والمال. والثالثة يستحل فيها الدم والمال والفرج والرابعة الدجال.[2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: ويل للعرب من شر قد اقترب. أفلح من كف يده.[3]

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: العبادة في الهرج كهجرة إليّ.[4]

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال ﷺ: إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم. يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا. ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا. القاعد فيها خير من القائم والماشي فيها خير من الساعي. فكسّروا قسيّكم وقطعوا أوتاركم واضربوا سيوفكم بالحجارة. فإن دُخل على أحد منكم فليكن خيرا بني آدم.[5]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم. وتكثر الزلازل[6] ويتقارب الزمان.[7] وتظهر

---

(١) أخرجه البخاري يراجع مرقاة المفاتيح جـ ٥ ص ١٣٩ وأخرجه أبو داود. وفي عون المعبود جـ ١١ ص ٣٤٩ وقال المنذري: أخرجه النسائي وابن ماجه والبخاري.

(٢) في عون المعبود جـ ١١ ص ٣٠٨: أخرجه نعيم بن حماد في كنز العمال في الفتنة

(٣) أخرجه أبو داود. في عون المعبود جـ ١١ ص ٣١٩ وقال رجال الصحيح

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الفتن. والترمذي وقال صحيح غريب. تحفة الأحوذي جـ ٦ ص ٤٤٥

(٥) أخرجه الترمذي. وقال في تحفة الأحوذي جـ ٦ ص ٤٤٦ صحيح غريب. وأخرجه أبو داود يراجع مرقاة المفاتيح جـ ٥ ص ١٤٦

(٦) الزلزلة: حركة الأرض واضطرابها الشديد. حتى ربما يسقط البناء القائم عليها

(٧) تقارب الزمان: قيل على ظاهره. فلا يظهر التفاوت في الليل والنهار بالطول والقصر وقيل: المراد قرب يوم القيامة.

الفتن.[1] ويكثر الهرج. وهو القتل القتل. حتى يكثر فيكم المال فيفيض[2]

الفتن من قبَل المشرق

في الأرض قطع باركها الله وبارك ما حولها. كالبيت الحرام (إن أول بيت وضع للناس للذي بمكة مباركا).[3] وكبيت المقدس (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله).[4] وكالمدينة المنورة التي دعا لها ﷺ بالبركة.. وغير ذلك من البلدان والأقطار.

كما أن هناك أزمنة خصها الله تعالى بمزيد من الخير والفضل. كليلة القدر. ويوم عرفة. وغيرهما.

وفي مقابل ذلك أمكنة وأزمنة خلت عن البركة والخير. وسنجد ذلك في الأحاديث التالية. ونعرف من أين تخرج الفتن. ويظهر قرنا الشيطان.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا. قالوا: وفي نجدنا. قال: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا. قالوا: وفي نجدنا.[5] قال: هناك: الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان.[6][7]

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال وهو مستقبل المشرق: ها إن

= وقيل: تذهب البركة. فيذهب اليوم والليلة بسرعة.
وقيل: تتقارب صدور الدول ولا تطول مدة أحد لكثرة الفتن.
وقيل: تتقارب المسافات بسبب اختراع الطائرات والسيارات والاذاعة الخ.

(١) الفتن: كالقتال الذي وقع بين الصحابة رضي الله عنهم. وما بعده.

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب الاستسقاء.

(٣) آل عمران ٩٦.

(٤) الإسراء ١.

(٥) النجد: خلاف الغور. وهو تهامة وكل ما ارتفع من بلاد تهامة إلى العراق

(٦) قرن الشيطان: أمته وخربه. ولذا قيل إن الدجال يخرج من هذه الجهة.

(٧) رواه البخاري في كتاب الاستسقاء.

الفتنة ههنا. ها إن الفتنة ههنا. ها إن الفتنة ههنا. من حيث يطلع قرن الشيطان.(١)

وروي بطرق متعددة. وفي بعضها: خرج ﷺ من بيت عائشة فقال: رأس الكفر من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان.(٢) (يعني المشرق)

وعن سالم قال سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الفتنة تجيء من ههنا. وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض.(٣)

ظهور دّجالين

حيث يكثر الجهل ويقل العلم. يظهر الدجل. وينتشر الكذب والادعاء والافتراء. فمن جماعة يدّعون أهواء فاسدة. ثم يسندون اعتقادهم الباطل إلى رسول الله ﷺ ومن جماعة يأتون بالموضوعات من الأحاديث. ويفترونها على النبي ﷺ. وآخرون دجالون كذابون يدّعون النبوة. وكلٌّ يزعم أنه رسول الله.

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: إن بين يدي الساعة كذابين. قال جابر: فاحذروهم.(٤)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة... وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين. كلهم يزعم أنه رسول الله. (وهو حديث طويل) وفيه: وحتى يتطاول الناس في البنيان. وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه.. الخ.(٥)

(١ - ٢ - ٣) رواها مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٤) رواه مسلم في كتاب الفتن.

(٥) أخرجه البخاري ومسلم في كتاب الفتن. والترمذي وقال حسن صحيح/ تحفة الأحوذي جـ ٦ ص ٤٦٥

أحوال وأهوال

سيكون وقع هذه الفتن على النفوس الكريمة الأبية قاسيا لا يحتمل فأين يذهبون؟ وماذا يفعلون؟ لا يجدون إلا الأموات فيحسدونهم على نجاتهم ويرجون أن كانوا مكانهم.

عن مرداس رضي الله عنه قال: قال ﷺ: يذهب الصالحون الأول فالأول. وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر. لا يباليهم الله بالة.[1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: والذي نفسي بيده لا تمر الدنيا حتى يمر الرجل بالقبر فيتمرغ عليه ويقول يا ليتني مكان صاحب هذا القبر. وليس به الدِّين. ما به إلا البلاء.[2]

هذا والأحاديث في هذا الباب كثيرة. وفيما ذكر كفاية. لتعطينا صورة لواقعنا ومستقبلنا. وما نخافه ونحذره أن يقع بنا.

وحقا: لقد بلغ رسول الله ﷺ ولم يترك عذرا لمعتذر. وحذرنا أشد تحذير. من هذه الفتن على اختلافها. وارشدنا إلى طريق الوقاية منها بالاستعاذة بالله تعالى أولا. ثم بالاستمساك بالجماعة. والحذر مما حذرنا منه. فإذا كان هوى متبع. وشح مطاع. ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه. فعلينا كما قال ﷺ علينا أنفسنا. ونلزم بيوتنا. أو نتبع شغف الجبال. وإن ابتلينا صبرنا. وإن حمل علينا السلاح كنا خيرا بني آدم. ونحتسب ذلك عند الله. ولا نحمل سلاحنا في الفتنة. بل نكسر قسيّنا وسيوفنا. ولا نتحمل مع القوم أوزارهم.

نعوذ بالله من فتنة المحيا والمات. ونعوذ بالله من فتنة القبر وعذابه. ومن فتنة المسيح الدجال.

والفتن موجودة في كل زمان ومكان ولكن تكاثرها وتعددها وإضافة

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب ٩

(٢) أخرجه البخاري ومسلم في كتاب الفتن.

أنواع أخرى إليها لم تكن من قبل. هذا هو ما يكون مؤذنا بقرب الساعة.

فكثرة شرب الخمر. والزنا. والعقوق. والجهل وقبض العلماء. وفسق الفتيان. وطغيان النساء. والبخل ومجاراة الأهواء. والبدع. والمنكرات. وكثرة القتل. وتسلط الشرار على الخيار. وغدر الروم بنا آخر الزمان. وتداعي الأمم الكافرة علينا كما تداعي الأكلة إلى قصعتها.

ثم بعد ذلك وفوق ذلك: يتجمع اليهود مع الدجال. فيرحمنا الله بنزول عيس عليه السلام حاكما بشريعة محمد ﷺ فيقتل هذا الدجال. وتخرج علينا يأجوج ومأجوج فيهلكهم الله بعذاب من عنده. ويخلص الأرض من شرهم

كل ذلك وأكثر من ذلك تحدثت عنه السنة الشريفة

وقد تقدم بعض ذلك.

وفيما يلي طرف آخر منه.

قتال اليهود

اليهود: أمة مفسدة في الأرض. عاشوا آلاف السنين مكروهين منبوذين. بعث الله تعالى موسى عليه السلام ليخلصهم من ظلم فرعون. الذي كان يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم. لأنهم لا يستحقون غير ذلك جزاء أفعالهم المنكرة وتصرفاتهم الخبيثة. وكل أمم الأرض تعرف ذلك منهم فتطاردهم لتأمن جانبهم. فألمانيا الهتلرية سامتهم أشد الوان العذاب والاضطهاد حتى إنها كانت تحرقهم إحراقا. وهذه الدول الغربية والشرقية التي تمكن لهم في فلسطين. إنما تفعل ذلك لأنها تريد أن تقذف بهذا الوباء والبلاء بعيدا عنهم وتلقيه على كاهل الأمة العربية والإسلامية. حقدا على العرب وعلى الأسلام. فهم يرمون عصفورين معاً.

تتجنب مخالطة هؤلاء اليهود في بلادهم فيشجعونهم على الهجرة إلى الشرق الأوسط ويمكنون لهم فيه بشتى المساعدات العسكرية وغيرها.

تلقي بهذا المرض على بلادنا بقصد إرادة الشر والبلاء بنا واليهود قوم:

غضب الله عليهم بعد أن وجد فيهم إصرارا على عصيانه. وإمعانا في مخالفة أمره ونهيه.

وهم لا يوفون بعهد ولا ذمة. فقد عاهدهم ﷺ عندما هاجر إلى المدينة. فلم يحترموا العهد ولم يحافظوا على المواثيق. وكان ما كان من يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وخيبر. وغيرهم. فحمل عليهم ﷺ، وقذف الله في قلوبهم الرعب. وأنهى وجودهم من الجزيرة العربية بالقتل وبالإجلاء.

حاربوا المسلمين حربا ميدانية عسكرية وأخرى مالية اقتصادية. وثالثة سياسية وعقيدية. ففشلوا في كل حرب مواجهة. فلجأوا إلى الخبث والدس والإيقاع بين المسلمين في خفاء وتستر. وأدخلوا على الإسلام من المذاهب والاراء ما يفسده ويشوهه ويمزقه.

وسيظل حالهم هكذا أعداء للبشرية كلها. وللعرب والمسلمين بصفة خاصة. فقد قتلوا الأنبياء بغير حق. وعملوا على قتل عيس عليه السلام وصلبه. وحاولوا أكثر من مرة أن يقتلوا رسول الله ﷺ بالقاء حجر عليه وبوضع سم في طعامه. وبسحره. وبالتحريض على حربه. وما زالوا يؤلّبون علينا دول الغرب ودول الشرق. ويضجون مضاجعنا. ويفزعون أمتنا فهم أشد أعدائنا. قال تعالى. «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا: اليهود والذين أشركوا»[١]

وستزداد عدواتهم وتزداد، حتى يخرج فيهم الدجال اللعين، فيتبعه منهم جيش كبير يهلكه الله تعالى بعيس عليه السلام. فيقتله ويتتبع اليهود الذين معه حتى يستأصلهم ويريح المسلمين من شرهم.

فالمسلمون ستكون لهم مع اليهود مواجهة عسكرية قوية تتعاون البناتات والجمادات مع المسلمين عليهم. فكل ما في الأرض يكرههم. وينتظر ساعة الخلاص منهم. فإذا حانت ساعتهم لم يجدوا لهم معينا ولا ناصرا. ووجدوا الفناء والإبادة على يد فئة من عباد الله الصالحين.

وهذه بعض الأحاديث الواردة في قتالهم.

---

(١) سورة المائدة ٨٢

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: تقاتلون اليهود حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر فيقول الحجر: يا عبد الله: هذا يهودي ورائي فاقتله.[1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود. حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم. هذا يهودي ورائي فاقتله.[2]

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون. حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر. فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود[3]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: تقاتلكم اليهود فتُسَلَّطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله.[4][5]

قتال الترك وغدر الروم

قال السدي: من الترك شرذمة يأجوج ومأجوج

وعن قتادة: أنهم كانوا اثنتين وعشرين قبيلة. بني ذو القرنين السدّ على إحدى وعشرين. وبقيت واحدة كانت خارجة في الغزو. وسُمُّوا بذلك لأنهم تركوا خارج السد.

وقيل هم من أولاد يافت بن نوح عليه السلام

وقيل هم من نسل تُبّع.

(١ - ٢) رواهما البخاري في كتاب الجهاد باب ٩٤

(٣ - ٤) رواهما مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة

(٥) هذه الأحاديث إخبار بما سيقع آخر الزمان. والظاهر أنه سيقع عند خروج الدجال والظاهر أيضا أن كلام الشجر والحجر حقيقة ويكون من الآيات.

وقيل هم بنو قنطورا: أمّة كانت لإبراهيم عليه السلام[1]

وقال المستورد القرشي عند عمرو بن العاص سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقوم الساعة والروم أكثر الناس[2].

وقد جاءت الأحاديث تذكر من علامات الساعة أن يقاتل المسلمون الترك والروم ويفتتحون القسطنطينية. وتكون بين الفريقين ملحمة كبرى لم يسبقها مثلها. ومن هذه الأحاديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك. صغار الأعين حمر الوجوه. ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة. ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر.[3]

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمونْ الترك قوما وجوههم كالمجان المطرقة يلبسون الشعر ويمشون في الشعر[4].

أقول: ظاهر الرواية الأولى: أن الذين ينتعلون الشعر غير الترك. وظاهر الرواية الثانية: أنهم هم.

ونقل الاسماعيلي[5] أن أصحاب بابك كانت نعالهم الشعر. وبابك. كان من طائفة من الزنادقة استباحوا المحرمات. وقامت لهم شوكة كبيرة في أيام المأمون. وغلبوا على كثير من بلاد العجم كطبرستان والري. إلى أن قتل بابك المذكور في أيام المعتصم وكان خروجه سنة ٢٠١ أو قبلها. وقتله ٢٢٢ اهـ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة

(١ - ٢) يراجع فتح الباري جـ ٦ ص ١٠٤

(٣) رواه مسلم في كتاب الفتن وقال النووي جـ ١٨ ص ٢١ أن القسطنطينية من أعظم مدائن الروم. أي أن الروم هم الترك. سيأتي بعد صفحتين رأي آخر.

(٤ - ٥) الرواية الاولى للبخاري. كتاب الجهاد ـ ٩٥ والثانية لمسلم في كتاب الفتن.

حتى تقاتلوا خوزا[١] و كرمان[٢] من الأعاجم[٣] حمر الوجوه[٤] فطس الأنوف[٥] صغار الأعين[٦] وجوههم المجانّ المطرقة[٧] نعالهم الشعر[٨].

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم. فقال: اعدد ستا بين يدي الساعة: موتي. ثم فتح بيت المقدس. ثم مُوتان[٩] يأخذ فيكم كعقاص الغنم[١٠]. ثم استفاضة المال[١١] حتى يُعطي الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً. ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته[١٢]. ثم هدنة تكون بينكم[١٣] وبين بني الأصفر[١٤]

---

(١) الخوز: قيل جيل من الناس واسم لجميع بلاد خوزستان.

(٢) كرمان: إقليم تبين فارس وسجتان.

(٣) من الأعاجم: المراد صنفان من الترك أسماها باسم أبويها. ولا نحمله على أهل خوزستان وكرمان لأنهم لم يوجدوا على النعت المذكور في الحديث بل وجد عليه الترك.

(٤) حمر الوجوه: من شدة حرارة باطنهم وغليان الغضب في أجوافهم.

(٥) فطس الأنوف. وفيما سبق: ذلف الأنوف: أي عريضة ومنخفضة وصغيرة ولعله كناية عن عدم شمومهم الحق.

(٦) صغار الأعين: هو من أمارات الحرص على متاع الدنيا والبخل على ما فيها.

(٧) المجان: جمع مجن وهو الترس.
المطرقة: وهي التي ألبست طراقا أي جلدا. أي الجلد على وجه الترس. وشبه وجوههم بالترس لتبسطها وتدويرها وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها.

(٨) رواه البخاري (يراجع مرقاة المفاتيح جـ ٥ ص ١٥٦ في شرح هذا الحديث).

(٩) مُوتان: أو مَوتان: الموت الكثير الوقوع ويقال للبليد موتان القلب.

(١٠) عُقاص الغنم: داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت. وظهر ذلك في خلافة عمر.

(١١) استفاضة المال: كثرته. وظهور هذه الآية في خلافة عثمان بكثرة الفتوح.

(١٢) فتنة: افتتحت بقتل عثمان رضي الله عنه. واستمرت الفتن بعده.

(١٣) الهدنة: الصلح على ترك القتال بعد التحرك فيه. ولو طلبها العدو يُجاب اليها حتى ولو أراد بذلك الخديعة لقوله تعالى (وإن يخدعوك فإن حسبك الله) الأنفال ٦٢ وهذه هي العلامة السادسة ولم تجيء بعد.

(١٤) هم الروم.

فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية[١] تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً[٢]

وعن هذه الهدنة. وغدر الروم. قال جبير: انطلق بنا إلى ذي مخبر. رجل من أصحاب النبي ﷺ. فأتيناه. فسأله جبير عن الهدنة[٣] فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستصالحون الروم صلحا آمنا[٤] فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم. فتُنصرون. وتغنمون، وتسلَمون[٥]. ثم ترجعون.، حتى تنزلوا بمرج ذي تلول[٦] فيرفع رجل من أهل النصرانية[٧] الصليب[٨] فيقول غلب الصليب[٩]:

فيغضب رجل من المسلمين فيدقه[١٠] فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة[١١].

---

(١) أي راية فيكون عدد جيشهم ٩٦٠٠٠٠

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب الجزية ب ١٥ ويراجع للشرح فتح الباري. جـ ٦ ص ٢٧٨

(٣) الهدنة: أي التي تكون بين المسلمين وبين الروم. كما أخبر ﷺ وتكون بينكم وبين بني الأصفر هدنة فيغدرون بكم وقد تقدم في الصفحة السابقة

(٤) آمنا: الخطاب للمسلمين. والصلح سيكون ذا أمن للطرفين.

(٥) تغزون: أي تقاتلون أيها المسلمون والروم المصالحون. والظاهر أن القتال سيكون بالمشاركة فينتصرون ويغنمون المال ويسلمون من القتل والجرح.

(٦) أي ينزل المسلمون والروم بموضع فيه نبات كثير ترعى فيه الدواب وهو مرتفع ذو تلول.

(٧) وهم الأروام. قاله القاري. (هذا مخالف لما قاله النووي قبل صفحتين)
قال في المراصد: الروم جيل معروف في بلاد واسعة شمالهم الترك وكانت الرقة والشامات تعد في حدودهم. وأنطاكية دار ملكهم إلى أن نفاهم المسلمون إلى أقصى بلادهم.

(٨) خشبة: يدّعون أن عيسى عليه السلام صلب على مثلها. مجاراة لادعاء اليهود.

(٩) أي غلب دين النصارى. وقال ذلك: للافتخار وإيقاع المسلمين في الغيظ أو قصدا لإبطال الصلح.

(١٠) أي فيكسر المسلم الصليب.

(١١) أي تنقض الروم العهد ويجمعون رجالهم للحرب والملحمة الكبرى.

وفي رواية: زاد فيه: ويثور المسلمون إلى أسلحتهم[1] فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة[2] [3].

أقول: إن الغدر أسلوب الجبناء. وسيوفق الله المسلمين للانتقام من هؤلاء الغادرين. كما سنرى في الملحمة الكبرى.

الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية

بعد أن يغدر الروم بالمسلمين. وتستشهد من المسلمين هذه العصابة الأولى على نحو ما تقدم. يأخذ كل من المسلمين والروم في الاستعداد لمعركة كبرى. يعزز بها الروم موقفهم ويظهرون قدرتهم. وينصر المسلمون دينهم ويرفعون علمهم ويثأرون من عدوهم. ويجعلون كلمة الله هي العليا. مؤمنين بإحدى الحسنيين النصر أو الشهادة.

وتكون قوة المسلمين وقتئذ مركزة في الشام. أو يكون تجمعهم في الشام. كما حصل ذلك من قبل لمواجهة التتار في عين جالوت. ولمواجهة الجيوش الصليبية في بين المقدس. وكما سيكون بعد ذلك عندما يقتل المسيح عيسى بنْ مريم عليه السلام الدجال بباب لُد. فكأنما كتب الله لهذه البقعة من العالم أن تكون مهبط أكثر الرسالات. وبارك فيها وفيما حولها. وجعلها محطا للإسراء والمعراج. ومحشرا للناس في آخر الزمان.

وفي هذه الملحمة أو المعركة الكبرى، ينزل الروم بالأعماق أو بدابق - من أعمال حلب - ويخرج جيش المسلمين من حلب أو دمشق وهو جيش يقوده المهدي - على ما قيل -.

وستكون المدينة المنورة وقتئذ خرابا. وبيت المقدس عامرا. وبعد هذه

---

(١) أي يثبون ويقومون مسرعين إلى أسلحتهم

(٢) تستشهد جماعة المسلمين.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في ملاحم الروم. وقال المنذري أخرجه ابن ماجه وقال القاري رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح يراجع عون المعبود جـ ١١ ص ٣٩٧ وما بعدها في شرح هذا الحديث.

المعركة الكبرى التي ستنتهي بضحايا غير محصورة لكن النصر فيها سيكون للمؤمنين. بعد ذلك يفتح المسلمون مدينة القسطنطينية دار ملك الروم. وبعدها يخرج الدجال.

وبين الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية ست سنوات. ويخرج الدجال في السابعة.

وما روي عن معاذ رضي الله عنه مرفوعا: الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر.. فقالوا: إن حديث ست سنين أصح منه.

وأقول: إنه يمكن توجيهه. بأن يقال: المعنى: أن الملحمة الكبرى تكون أولا. وفتح القسطنطينية يكون بعدها. أما خروج الدجال فبعد ذلك بسبعة أشهر. فيكون في السنة السابعة.

أو يؤول الاختلاف في السنين والشهور. بما ورد: أن السنة كالشهر. والشهر كالجمعة ألخ. وسيأتي زيادة بيان.

والآن نستعرض الآثار ونتركها تتحدث. فحديثها أصدق.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة. ثم قال: عدو يجمعون لأهل الشام[1] ويجمع لهم أهل الإسلام. فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة يقتتلون حتى يحجز بينهم الليل. فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة. ثم يتشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة يقتتلون حتى يحجز بينهم الليل. فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ثم تيشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا فيفيء هؤلاء كل غير غالب وتنفى الشرطة فإذا كان يوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام. فيجعل الله الدبرة عليهم[2] فيقتتلون مقتلة لم ير مثلها. حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم

---

(١) أي يجمع الروم الرجال والسلاح ليحاربوا أهل الشام.

(٢) أي على الكفار الروم.

فلا يخلفهم حتى يخر ميتا. فيتعادّ بنو الأب. كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد. فبأي غنيمة بفرح، أو أي ميراث يقسم!!

فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك. فجاءهم الصريخ إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون. فيبعثون عشرة فوارس طليعة. قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم. هم خير فوارس أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ[١] [٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق[٣] فيخرج إليهم جيش من المدينة[٤] من خيار أهل الأرض يومئذ[٥] فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقتلهم[٦]. فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا. فيقاتلونهم

---

(١) الحديث رواه مسلم في الفتن.

(٢) المعنى العام للحديث: في اليوم الأول من الأيام الأربعة. يُعدّ المسلمون طائفة منهم للقتال على ان لا ينهزموا بل يثبتوا إلى أن يَغلبوا أو يقتلوا وينقضي النهار ولم يتحقق نصر لأحد من الفريقين. ويفني منها عدد كبير ويكررون مثل ذلك في يومين آخرين. والنتيجة كذلك وقد استنزفوا قوة عدوهم وفي اليوم الرابع وهو الأخير يتقدم الجيش الإسلامي وما زال بكل قوته لعدم اشتراكه في أعمال الأيام السابقة فتكثر الضحايا. وينتصرون.

ولا تساع مسقط الموتى ولكثرة نتنهم لو مر بهم طائر لم يسلم من الموت لشدة الجهد الذي يبذله ليبلغ آخرهم.

ثم تشرع كل جماعة في عدّ انفسهم وأقاربهم فيجدون ما بقي من المائة غير واحد.

(٣) موضعان بالشام قرب حلب. ويكون ذلك بعد الملحمة الكبرى وقبل فتح القسطنطينية

(٤) المدينة: حلب أو دمشق. لأن المدينة المنورة يومئذ خراب.

(٥) هم أتباع وجيش المهدي.

(٦) قالوا ذلك: يريدون تفريق كلمة المؤمنين. وسُبوا على الوجهين قال القاضي الصواب الضم وقال النووي كلاهما صواب لأنهم سُبوا أولا: ثم سَبوا الكفار فمعظم عساكر الإسلام في الشام ومصر سُبوا ثم بحمد الله صاروا يسبون الكفار (يراجع جـ١٨ ص ٢١ النووي على مسلم).

فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً[1] ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله. ويفتتح الثلث فلا يفتنون أبدا. فيفتتحون قسطنطينية[2] فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صرخ فيهم الشيطان إن المسيح الدجال قد خلفكم في أهاليكم. فيخرجون - وذلك باطل - فإذا جاءوا الشام خرج. فبينما هم يعدون للقتال يسوون صفوفهم. إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم. فأمّهم[3] فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء. فلو تركه لذاب حتى يهلك. ولكن يقتله الله بيده[4] حتى يريهم دمه في حربته[5 - 6].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: هل سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا نعم. قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بني اسحق[7] فإذا جاءوها نزلوا. فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم. قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط أحد جانبيها الذي في البحر. ثم يقولون الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر. ثم يقولون لا إله إلا الله والله أكبر فتُفرجُ لهم. فيدخلونها. فيغنمون. فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ[8] فقال: إن الدجال قد خرج.

---

(١) إذ لم يلهمهم التوبة

(٢) مدينة مشهورة من أعظم مدائن الروم.

(٣) أي صلّى عيسى إماما للمسلمين وفيهم المهدي. وفي رواية قدّم المهدي معَّللا بأن الصلاة أقيمت له وإشعارا بالمتابعة وأنه غير متبوع استقلالا بل هو مقرر ومؤيد. ثم بعد ذلك يؤم على الدوام.

(٤) بيد عيسى.

(٥) الحديث أخرجه مسلم في الفتن.

(٦) يراجع مرقاة المفاتيح جـ ٥ ص ١٥٩ وما بعدها في شرح هذا الحديث.

(٧) قال النووي في شرح مسلم جـ ١٨ ص ٤٣ قال القاضي: كذا من بني اسحق في جميع أصول مسلم قال وقال بعضهم المعروف المحفوظ من بني اسماعيل. وقال القاري جـ ٥ ص ١٦٣ هم من بني اسحق. أكراد الشام مسلمون. ويحتمل أن يكون بعضهم من بني اسماعيل وبعضهم من بي اسحق واقتصر على بني اسحق تغليبا.

(٨) أي يصرخ فيهم الشيطان كاذبا: إن الدجال قد خرج.

فيتركون كل شيء ويرجعون [١ - ٢ - ٣].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال ﷺ: عمران بيت المقدس[٤] خرابُ يثرب. وخربَ يثرب خروجُ الملحمة. والملحمةُ فتحُ القسطنطينية. وفتحُ القسطنطينية خروجُ الدجال[٥]. ثم ضرب بيده على فخذ معاذ. ثم قال: إن هذا لحق كما أنك قاعد ههنا[٦].

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ: الملحمة الكبرى وفتح السطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر[٧].

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: قال ﷺ: بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين. ويخرج المسيح الدجال في السابعة[٨].

وغير هذا كثير. وفيما ذكرناه كفاية.

---

(١) يرجعون سريعا لمقابلة الدجال ومساعدة الأهل والعيال.

(٢) هذه المدينة المذكورة المذكورة في هذا الحديث هي دار ملك الروم. وفتحها من أشراط الساعة. وقيل هي القسطنطينية. وسميت باسم بانيها. ويحتمل أنها مدينة غيرها لأن قسطنطينية تفتح بقتال كبير وهذه تفتح بمجرد التهليل والتكبير. وأن الصريخ جاء الفريقين بعد الفتحين. قال في المرقاة: وهذا هو الظاهر جـ ٥ ص ١٦٢

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الفتن.

(٤) يخرب بيت المقدس في أواخر الزمان ثم يعمره الكفار عمرانا كاملا بالرجال. والعقار والمال مجاوزا الحد. وقت خراب يثرب.

(٥) كل واحد من هذه الأمور علامة على الأُخر فعمران بيت المقدس يتبعه خراب يثرب. يتبعه الملحمة يتبعه فتح القسطنطينية. يتبعه الدجال.

(٦) أخرجه أبو داود. وقال في عون المعبود جـ ١١ ص ٤٠٠ قال المنذري: في إسناده عبد الرحمن ابن ثابت: وثقة بعضهم وتكلم فيه غير واحد.

(٧) أخرجه أبو داود. ورواه الترمذي وحسنه تحفة الأحوذي جـ ٦ ص ٤٩٧

(٨) رواه أبو داود وقال هذا الحديث أصح من إسناد حديث معاذ الذي فيه سبعة أشهر قاله المنذري في عون المعبود جـ ١١ ص ٤٠٣.

خروج رجل من قحطان

قحطان: تنتهي إليه أنساب أهل اليمن من حمير وكندة وهمدان وغيرهم.

ومن قحطان في آخر الزمان يخرج رجل يقال له الجهجاه. يملك الناس ويحكمهم حكما شديدا ويتصرف فيهم كما يتصرف الراعي في الغنم. وقد أخبر بذلك النبي ﷺ. ولم يقع بعد. وموعده بعد نزول عيسى عليه السلام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان[١] يسوق الناس بعصاه[٢ - ٣]

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له جهجهاه[٤-٥].

وروى نعيم بن حماد مرفوعا: يكون بعد المهدي القحطاني. والذي بعثني بالحق ما هو دونه.. ورُوى موقوفا: أن القحطاني يخرج بعد المهدي ويسير على سيرة المهدي. - وهذا الموقوف أصلح إسنادا من المرفوع قبله.

وفي رواية: يعيش في الملك عشرين سنة.

إذن، سيكون في زمن عيسى عليه السلام. لأن عيسى إذا نزل يجد المهدي أمام المسلمين.

وهنا إشكال: كيف يسوق الناس بعصاه والأمر إنما هو لعيسى عليه السلام!

ويمكن أن يجاب: يجوز أن يقيمه عيسى عليه السلام نائبا عنه في أمور مهمة عامة.

---

(١) لم يسمّ. وجوز القرطبي أن يكون جهجاه الذي وقع ذكره في مسلم في الحديث الثاني وأصل الجهجاه: الصياح. يراجع فتح الباري جـ ٦ ص ٥٤٥

(٢) كناية عن الملك والاستبداد والخشونة والعسف.

(٣) الحديث رواه البخاري في كتاب المناقب وكتاب الفتن ومسلم في كتاب الفتن

(٤) في رواية أنه من الموالى. وظاهر أنه قحطاني أنه حر. قال في فتح البارى جـ١٣ ص ٦٨ طبع دار المعرفة لأن الحبشة إذا خرَّبت البيت خرج عليهم القحطاني فأهلكهم.

(٥) أخرجه مسلم عقب حديث القحطاني.

وفي رواية: حتى يملك رجل من الموالي يقال له الجهجاه[١].

غزو الكعبة وهدمها:

حمى الله الكعبة. وجعل مكة حرما آمنا. وردّ الفيل وأرسل على أهل الفيل طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول. وسيظل هذا البيت بإذن الله تعالى محفوظا من كيد الكائدين. حتى يأتي أمر الله. ويجعل الجبال دكا. وتنشق السماء وتقع الواقعة.

إذا ما حان ذلك الوقت تبدلت الأحوال. وظهرت الأهوال وتغير النظام. وليس هذا اختلالا أو فسادا. ولكنه صنع الله حسب إرادة ومشيئة منه تعالى.

فينال الكعبة ما ينال غيرها من الخوف والرعب والسطو والغزو. على أيدي أقل الناس قدرا وأحقرهم شأنا.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: اتركوا الحبشة ما تركوكم[٢] فإنه لا يستخرج كنزَ الكعبة إلاّ ذو السويقتين[٣] من الحبشة[٤].

وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم[٥].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: اتركوا الترك ما تركوكم. فإن أول من يسلب أمتي ملكهم وما خوّلهم الله بنو قنطورا[٦].

---

(١) مسلم عقب الحديثين

(٢) أما إذا دخلوا بلاد المسلمين قهرا فليس يجوز لأحد ترك القتال.

(٣) مثنى سويقة تصغير ساق أي ساقان دقيقتان

(٤) رواه أبو داود وفي عون المعبود جـ ١٦ ص ٤٢٣ وقال المنذري هو مثل حديث البخاري الآتي

(٥) رواه أبو داود. وفي عون المعبود جـ ١١ ص ٤١٠ وقال المنذري أخرجه النسائي أتم منه.

(٦) رواه الطبراني، انظر مرقاة المفاتيح جـ ٥ ص ١٦٦. وقنطورا: جارية لإبراهيم عليه السلام

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يخرِّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة[1].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: كأني به أسود أفحج[2] يقلعها حجرا حجرا[3].

وأول هذا الحديث في بعض طرقه: استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه. فكأني برجل من الحبشة أصلع[4] أو قال أصعل[5] حمش الساقين[6] قاعد عليها وهي تهدم.

وفي رواية: قائم عليها يهدمها بمسحاته.

وزاد أحمد: فيسلبها حليها ويجردها من كسوتها. كأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته أو بمعوله[7].

ومن حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما. يحرّق البيتُ ويكون ويكُون[8].

وعند أحمد عن أبي هريرة[9] يُبايعُ للرجل بين الركن والمقام ولن يَستحل هذا البيت إلا أهلُه. فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب. ثم تجيء الحبشة فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبداً وهم الذين يستخرجون كنزه[10].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: يغزو جيش الكعبة.

(١ - ٢) رواهما البخاري في كتاب الحج ب ٤٩ - والأول رواه مسلم في الفتن.

(٣) أفحج: هو تباعد ما بين الساقين.

(٤) من ذهب شعر مقدم رأسه

(٥) صغير الرأس

(٦) دقيق الساقين.

(٧ - ٨ - ٩) يراجع فتح الباري جـ ٣ ص ٤٦١

(١٠) تحت الكعبة كنز مدفون. وقيل: مخلوق فيها.

فإذا كانوا ببيداء من الأرض[١] يُخسف بأولهم وآخرهم[٢] قالت: قلت يا رسول الله: كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم[٣] ومن ليس منهم؟ قال: يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم[٤].

وفي رواية عنها رضي الله عنها: عبث النبي ﷺ في منامه - فقلنا له: صنعتَ شيئا لم تكن تفعله. قال: العجب أن ناسا من أمتي يؤمُّون هذا البيت لرجل من قريش قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم.. ألخ.[٥]

وعن حفصة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول: ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم وينادي أولُهم آخرَهم ثم يخسف بهم فلا يبقى إلا الشّرِيد الذي يخبر عنهم[٦].

وقد استشكلت عائشة رضي الله عنها وقوع العذاب على من لا إرادة له في القتال الذي هو سبب العقوبة.

فوقع الجواب بأن العذاب بقع عاما لحضور آجالهم ويبعثون بعد ذلك على نياتهم فيجازي كل إنسان حسب نيته.

وفي رواية لمسلم: يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى.

غزو الكعبة سيقع مرتين

قال ابن التين: يحتمل أن يكون هذا الجيش الذي يُخسف بهم هم الذين يهدمون الكعبة فينتقم الله منهم فيخسف بهم بعد أن يهدموها ويرجعوا.. فيكون غزو الكعبة واحدا.

---

(١) مكان بين مكة والمدينة

(٢) ولا ينجو أوسطهم. من زيادة الترمذي

(٣) أهل أسواقهم أو السوقة فهم ومن لم يرافقهم وفي رواية لمسلم: فقلنا: إن الطريق يجمع الناس قال: نعم فيهم المستبصر (القاصد للمقاتلة) والمجبور (المكره) وابن السبيل (أي سالك الطريق)

(٤) رواه البخاري في كتاب البيوع ب ٤٩

(٥) رواه مسلم في الفتن.

(٦) رواه مسلم في الفتن

ولكن: ظاهر الحديث أنه يخسف بهم قبل أن يصلوا إليها.

كما أن رواية مسلم «ناسا من أمتي» والذين يهدمون الكعبة من كفار الحبشة.

فعلى هذا: سيقع غزو الكعبة مرتين. مرة يهلكهم الله قبل الوصول إليها وأخرى يمكنهم منها. وأن غزو الذين يخربونها متأخر عن الأولين[1].

استفهام:

هل هدم الكعبة واستخراج كنوزها. يتعارض مع قوله تعالى (أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم[2]؟ وأن الله حبس عن مكة الفيل ولم يمكن أصحابه من تخريب الكعبة ولم تكن إذ ذاك قبلة. فكيف يسلط عليها الحبشة بعد أن صارت قبلة؟

الجواب: إنما يقع ذلك آخر الزمان قرب قيام الساعة حتى لا يبقى في الأرض أحد يقول: الله الله. - كما تقدم - ولذلك وقع في بعض الروايات: «لا يعمر بعده أبداً».

وأن العموم الذي في الآية مخصوص بمثل قصة ذي السويقتين.

وأن الآية ليس فيها ما يدل على استمرار الأمن. فمعناها: يبقى آمنا إلى قرب القيامة وخراب الدنيا.

وقديما وُجّه هذا السؤال: أين كلام الله (ومن دخله كان آمنا)[3] وقد وقعت فيه وقعة القرامطة فقتلوا من المسلمين في المطاف من لا يحصى وقلعوا الحجر الأسود وحولوه إلى بلادهم. ثم أعادوه بعد مدة طويلة؟

فأجاب أحد الصالحين: إنما معنى الآية: فأمِّنوا من دخله ولا تتعرضوا له بنهبه أو قتله.

وقد غزي مرارا. ووقع فيه قتال كبير. قديما وحديثا[4].

(١ - ٢) يراجع فتح الباري جـ ٣ ص ٤٦١، جـ ٤ ص ٣٤١

(٣) العنكبوت ٦٧

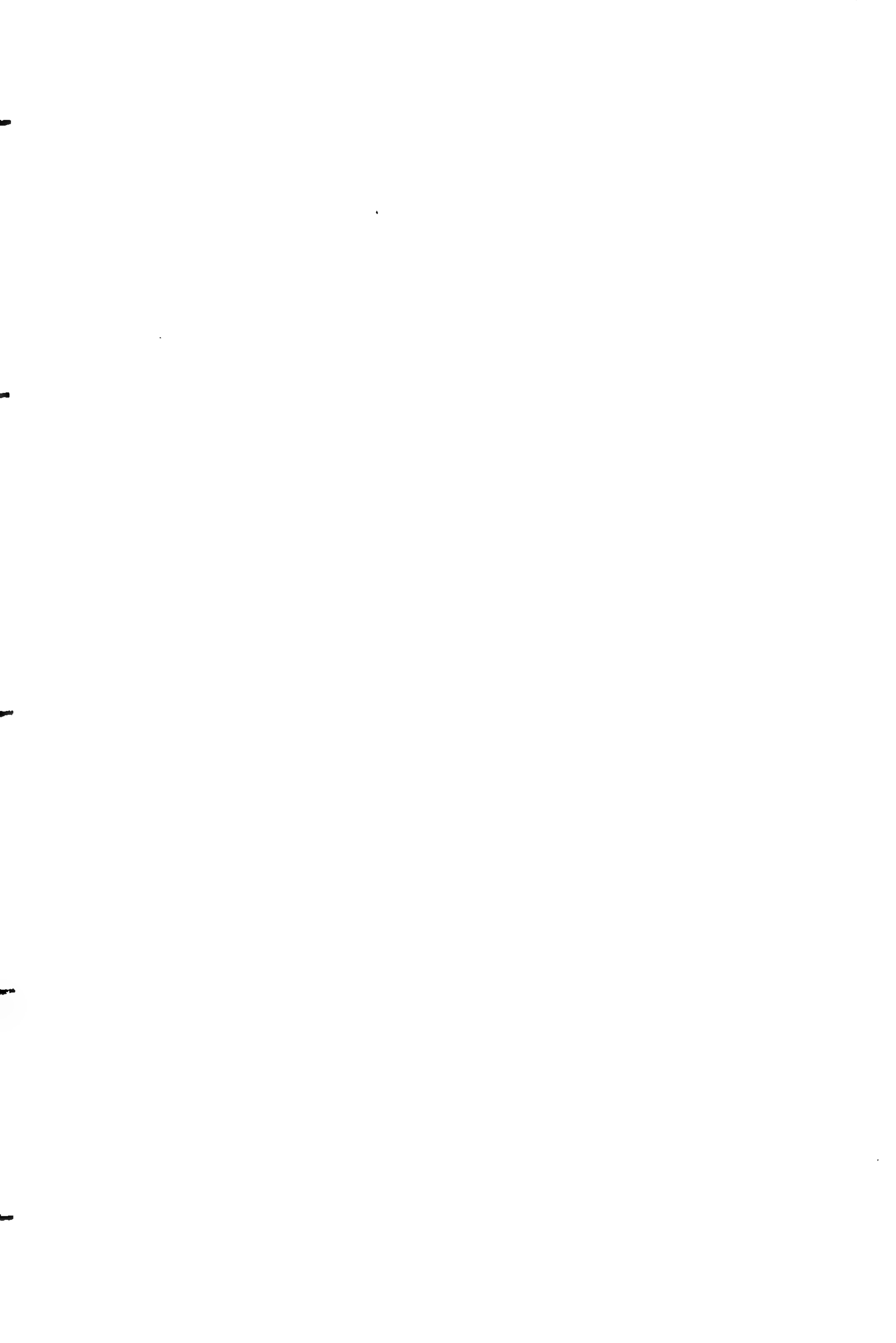
(٤) آل عمران ٩٧



الآيات الكبرى
وهي القريبة من قيام الساعة

الدخان
ثلاثة خسوف
خروج الدجال
نزول عيسى بن مريم عليه السلام
ومن بين يديه المهدي
خروج يأجوج ومأجوج
طلوع الشمي من مغربها
خروج الدابة
خروج النار

وهذا هو القسم الثاني من البحث
من صفحة ٦٧ إلى صفحة ١٧٤



الدخان

تأتي السماء بدخان يملأ ما بين المشرق والمغرب بمكث أربعين يوما وليلة. أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة. وأما الكافر فيكون عنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه. وهو من الآيات المنتظرة. ولم يمض بعدُ. ويعتبر من العلامات الكبرى القريبة من الساعة. وفيه آراء أخرى سنعرض لها بعد ذكر الآثار الواردة فيه.

قال الله تعالى: « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم »(١).

وعن حذيفة بن أسيد قال: أطلع رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر. فقال: ما تذكرون؟ قلنا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات. فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تطرد الناس إلى محشرهم(٢).

وفي رواية أخرى: كنا قعودا في ظل غرفة لرسول الله ﷺ فذكرنا الساعة.

---

(١) سورة الدخان ١٠، ١١

(٢) أخرجه مسلم في الفتن.

فارتفعت أصواتنا. فقال رسول الله ﷺ: لن تكون - أو لن تقوم - حتى يكون قبلها عشر آيات. طلوع الشمس من مغربها. وخروج الدابة. وخروج يأجوج ومأجوج. والدجال. وعيسى بن مريم. والدخان وثلاثة خسوف خسف بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك تخرج نار من اليمن من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: بادروا بالأعمال ستا. طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أو خاصة أحدكم أو أمر العامة.[٢]

وفي رواية بالواو بدل أو.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: من حديث ابن صياد. قال ﷺ: إني خبأت لك خبأ. فقال هو الدخ.. أي الدخان. فقال له ﷺ: أخسأ فلن نعدو قدرك. وقال: وخبأ له ﷺ (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين)[٣].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال ﷺ: إنه أول الآيات الدجال ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن.. والدخان. قال حذيفة يا رسول الله: وما الدخان؟ فتلا رسول الله ﷺ هذه الآية (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة. أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة. وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره[٤]

---

(١) أخرجه أبو داود عون المعبود جـ ١١ ص ٤٢٦ وفي ص ٤٣٣ إسناده صحيح ورجاله رجال لصحيحين.

(٢) رواه مسلم في بقية من أحاديث الدجال وخاصة أحدكم: أي الأمر الذي يخصه وهو الموت. أو الذي يهمه. من نفسه وماله - أمر العامة: الفتنة التي تعم الناس. أو ما يكون من جهة العامة كتأميرهم دون الخاصة.

(٣) لمسلم في ابن صياد

(٤) ابن جرير. قال: لو صح هذا الحديث كان فاصلا

وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: إن ربكم أنذركم ثلاثا. الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه والثانية الدابة والثالثة الدجال[1].

وعن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يهيج الدخان بالناس فأما المؤمن فيأخذه كالزكمة وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه[2]

وعن علي كرم الله وجهه قال: لم تمض آية الدخان بعدُ يأخذ المؤمن كهيئة الزكام وتنفخ الكافر حتى ينفذ...[3] الخ.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام ويدخل مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيذ[4].

وعن عبد الملك بن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس رضي الله عنهم ذات يوم فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت. قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت[5].

مذهب ابن عباس

يرى ابن عباس رضي الله عنهما ومن وافقه من الصحابة والتابعين. وكذا الحسن البصري وعكرمة: أن الدخان من الآيات المنتظرة. وأنه لم يمض بعد بل هو من أمارات الساعة. وكل ما تقدم من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة يدل دلالة واضحة على ذلك.

روى ابن ابي حاتم عنه: مثل حديث عبد الله بن أبي مليكة. المتقدم قبل

(١ - ٢ - ٣) ابن جرير.

(٤ - ٥) ابن أبي حاتم. والأحاديث الستة من ٢ - ٧ في تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١٣٩

هذا. وقال: هذا إسناده صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن[١].

وعن عكرمة قال: قال ابن عباس. قال ابن مسعود: البطشة الكبرى يوم بدر. وأنا أقول: هي يوم القيامة. رواه ابن جرير. وقال إسناده صحح عنه. يشير إلى قوله تعالى (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون[٢].

مذهب ابن مسعود

أما عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. فله مذهب آخر وهو أن الدخان قد مضى. والبطشة الكبرى يوم بدر. ووافقه على ذلك جماعة من السلف كمجاهد وأبي العالية والضحاك وإبراهيم النجعي.

ومما يؤيد هذا المذهب. ما يأتي:

عن مسروق قال: دخلنا المسجد [٣] فإذا رجل يقص على أصحابه (يوم تأتي السماء بدخان مبين) تدرون ما ذلك الدخان؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام. قال: أتينا ابن مسعود رضي الله عنه فذكرنا له ذلك وكان مضطجعا ففزع فقعد وقال: إن الله عزّ وجل قال لنبيكم ﷺ (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين)[٤]. إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم. سأخدثكم عن ذلك: إن قريشاً لما أبطأت عن الإسلام واستعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة. وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان وفي رواية: فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد. قال تعالى

(١ - ٢) يراجع تفسير ابن كثير جـ٤ ص ١٣٩، ١٤٠.

(٢) الآية في سورة الدخان١٦.

(٣) مسجد الكوفة.

(٤) سورة ص ٨٦.

« فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين » فأتى رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله استسق الله لِمُضَر فإنها قد هلكت. فاستسقى رسول الله ﷺ لهم فسقوا. فنزلت « إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون »... قال ابن مسعود: فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم فأنزل الله عز وجل « يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون » قال: يعني يوم بدر.

قال ابن سعود: فقد مضى خمسة: الدخان والروم والقمر والبطشة واللزام[1].

رأي ثالث

عن عبد الرحمن بن الأعرج في قوله تعالى.. فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين » قال كان ذلك يوم فتح مكة قال ابن أبي حاتم: هذا القول غريب جدا. بل منكر[2].

وقيل:

للجمع بين مذهبي ابن عباس وابن مسعود. نقول: هما دخانان ويؤيد ذلك ما قاله القرطبي: روى عن ابن مسعود أنهما دخانان وقال مجاهد: كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: هما دخانان قد أمضى أحدهما. والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض[3].

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير. تفسير سورة الدخان.

ورواه مسلم في باب آية الدخان وانشقاق القمر جـ ١٧ شرح النووي واللزام الجزاء الذي يلزم كل عامل. قال تعالى: « قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما - الفرقان ٧٧) كان يوم بدر وكذا البطشة. والقمر (اقتربت الساعة وانشق القمر - القمر ١) مضت في مكة خلافا لمن قال سينشق يوم القيامة. والروم أيضا مضت « الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون » الروم ١

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ ص ١٣٨ -

(٣) عون المعبود جـ١١ ص ٤٢٩.

نهاية الاختلاف

إن ما قاله القرطبي ومجاهد من أن ابن مسعود يقول هما دخانان . يضيق دائرة الاختلاف بينه وبين ابن عباس أو يزيله . لولا أن هذين القولين ، قول القرطبي وقول مجاهد لا نعرف سندهما ومدى صحتهما .

لذلك وجب أن نوازن بين الرأيين . لنعرف أيهما يستساغ ويكون مقبولاً .

إن الأحاديث المتعددة التي نقلناها في هذا الباب تدل بألفاظها وظواهرها ومعانيها القريبة والبعيدة على ما ذهب إليه ابن عباس .

وإن الآية الكريمة أيضا تدل بمفهومها ومنطوقها على صحة مذهب ابن عباس .

فقوله تعالى: تأتي السماء بدخان . بعيد عن ما فسره به ابن مسعود . من ان الناس قد صعفت أبصارهم من شدة الجوع والجهد حتى لا يرون إلا كهيئة الدخان . وفرق بين سماء تأتي بدخان كما هو نص الآية ، وبين ضعف الإبصار وكان يمكن أن يصوّر القرآن الكريم حالهم في ذلك بغير هذا النص . فلم الخروج عن حقائق الألفاظ بغير سبب؟ .

وابن عباس هو ترجمان القرآن باتفاق . فإذا اختلفتنا رجعنا إلى رأيه .

ابن مسعود لم يؤيد رأيه برواية عن الرسول ﷺ . بل هو من تفسيره .

ابن مسعود فزع مما قاله مسروق عن الرجل الذي كان في مسجد الكوفة يحدث عن الدخان وأنه يوم القيامة . أقول: إن قوله يوم القيامة موضع إنكار . فإن كان يريد قرب القيامة فقد جاوز التعبير الصحيح . وإن كان يريد يوم القيامة حقيقة فقد شذ شذوذاً بعيداً فلعل إنكار ابن مسعود عليه كان لقوله: يوم القيامة .

وماذا يفعل ابن مسعود بهذه الأحاديث الصريحة التي تعدّ الدخان مع الدجال والدابة وعيسى بن مريم؟ وبحديث حذيفة الذي فسر الآية عن رسول الله ﷺ وقال فيه يمكث أربعين؟

وقول الرسول ﷺ لابن صياد: خبّأت لك. وخبّأ له (فارتقب يوم تأتي السماء). هذا فيه إشعار بأنه من المنتظر المرتقب.

وبعد. فإني لا أجد لابن مسعود دليلا غير رأيه ولا أجد وسيلة لأن أوافقه عليه إلا إذا كان حقاً يقول إنها دخانان. فلا أعارضه حتى ولو قال ثلاثة أو أربعة. فالأدخنة كثيرة. ولكن الدخان الذي نحن بصدده قد عدّه ﷺ ضمن علامات الساعة الكبرى القريبة منها.

وما ذهب إليه ابن الأعرج أن ذلك كان يوم فتح مكة قد أنكره ابن أبي حاتم وكفانا القول فيه.

وبقي أمامنا رأي ابن عباس منتصباً قائماً مقبولاً والله أعلم.

الخسوف الثلاثة

وردت بها أحاديث كثيرة. كلها تصرح بأنها من أشراط الساعة القريبة منها. وبعض العلماء وضعها في الترتيب قبل الدخان وغيره من الآيات. فقال: أول الآيات الخسوفات ثم قال والأولى التفويض[1]. وقد صدق. فإنه لا يعلم الغيب إلا الله.

وحديث حذيفة بن أسيد الذي تقدم قريبا في الدخان ذكر الخسوفات ضمن الآيات القريبة من الساعة.

وهي ثلاثة خسوف. بيّنها ﷺ فخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب.

قال ابن الملك[2] قد وجد الخسف في مواضع. لكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدراً زائداً على ما وجد كأن يكون أعظم مكانة وقدراً.

وأقول له: ليس ذلك بمحتمل فقط. بل إنه لا يكون إلا كذلك. والله أعلم.

---

(١) ذكره صاحب فتح الودود. أنظر عون المعبود جـ١١ ص ٤٣٠.

(٢) يراجع عون المعبود جـ١١ ص ٤٢٩.

الدجال

من أبنية المبالغة. أي الكذاب. من الدجل وهو التغطية. وسمي الكذاب دجالا لأنه يغطي الحق بباطله.

أو هو المموِّه. فالدجال يلبس على الناس ويموه لهم. وقيل سميَّ دجالا من دَجل إذا ساح في الأرض. ومما يحتاج إلى معرفته في أمر الدجال:

أصله، وهل هو ابن صياد أو لا؟

وهل كان موجوداً أيام الرسول ﷺ أولا؟

ومتى يخرج؟ وما سبب خروجه؟ ومن أين يخرج؟

وما صفته؟ وما الذي يدّعيه؟ وما الذي.

يظهر عند خروجه من الخوارق؟ ومتى يهلك؟ ومن يقتله؟

أما الأول: ففي حيث جابر: كان يحلف أن ابن صياد هو الدجال.

وأما الثاني: ففي قصة تميم الداري أنه كان موجودا في العهد النبوي وأنه محبوس في بعض الجزائر.

وأما الثالث: ففي حديث النواس أنه يخرج عند فتح المسلمين القسطنطيينة.

وأما سبب خروجه. ففي حديث ابن عمر عن حفصة: أنه يخرج من غضبة يغضبها:

وأما من أين يخرج: فمن قِبَل المشرق جزماً وفي رواية من خراسان وفي أخرى أصبهان.

وأما صفته: جسيم أحمر جعد الرأس أعور العين. كأن عينه عنبة طافية الخ.

وأما الذي يدّعيه = أوّلاً يدّعي الإيمان والصلاح ثم. النبوة ثم الإلّهيّة.

(*) راجع فتح الباري جـ١٣ ص ٧٩.

وأما ما يظهر على يده من الخوارق؟ معه نار وماء فناره ماء بارد وماؤه نار.. الخ. وتطوى له الأرض و. و..

ومتى يهلك؟ يهلك بعد ظهوره على الأرض كلها إلا مكة والمدينة ثم يقصد بيت المقدس.

ومن يقتله؟ عندما يقصد بيت المقدس ينزل عيسى عليه السلام فيقتله.

ومدة لبثه: أربعون يوما. يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كالأيام. وستأتي رواية: أربعون سنة السنة كالشهر. والشهر كالجمعة الخ.

ومن أدركه: عليه أن يقرأ فواتح سورة الكهف فإنها جوار من فتنته.

ولقد علّمنا ﷺ أن نستعيذ بالله من فتنة الدجال عقب كل صلاة.

وأما خطره: فلم يخلق الله تعالى فتنة أكبر من الدجال وسيأتي تفصيل كل ذلك وأدلته.

ذكره في القرآن

رغم ما ذكر عنه من الشر وعظم الفتنة به وتحذير الأنبياء منه. والأمر بالاستعاذة منه حتى في الصلاة. فلم يرد مصرحا به في القرآن الكريم.

ولكنه ذكر ضمنا في بعض الآيات الكريمة. ومن ذلك.. قال تعالى. يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً »[١].

وهذه الآيات هي: الدجال والدابة. وطلوع الشمس من مغربها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ثلاثة إذا خرجن لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل: الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها[٢].

---

(١) سورة الأنعام ١٥٨.

(٢) أخرجه الترمذي وصححه / فتح الباري جـ١٣ ص ٧٩.

وقال تعالى « وإنه لعلم للساعة [1] .

وقال تعالى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته[2].

فقد وقعت الإشارة في هاتين الآيتين إلى نزول عيسى ابن مريم عليه السلام. وصحّ أنه الذي يقتل الدجال - كما سيأتي - فأكتفي بذكر أحد الفندين عن الآخر[3].

وقال تعالى « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس[4] » فقد جاء في تفسير البغوي: أن المراد بالناس في هذه الآية الدجال

وهذا إن ثبت يكون أقوى الشواهد. ويكون من جملة ما تكفل النبي ﷺ ببيانه والعلم عند الله تعالى.

التحذير منه

كان ﷺ يكثر من ذكر الدجال. ومن التحذير منه ومن الاستعاذة من فتنته.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع. استنصت الناس فحمد الله وأثنى عليه. ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب في ذكره. وقال: ما بعث الله من نبي إلا أنذره أمته. أنذره نوح عليه السلام أمته. والنبيون بعده وإنه يخرج فيكم. فما خفي عليكم من شأنه فليس

---

(١) سورة الزخرف ٦١.

(٢) سورة النساء ١٥٩.

(٣) يراجع فتح الباري جـ١٣ ص ٧٩.

(٤) (سورة غافر ٥٦/٥٧) أخرج عبد بن حميد وابن أبي هاشم. قال السيوطي.

بسند صحيح عن أبي العالية: إن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا إن الدجال يكون منا في آخر الزمان... فعظموا أمره فقيل فيهم (إن الذين يجادلون في آيات الله... فاستعذ بالله [أي من الدجال].. لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) (أي الدجال) (تفسير فتح القدير جـ٤ ص٤٩٩).

يخفي عليكم أن ربكم ليس بأعور. وإنه أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: مامن نبي إلا قد أنذر أمته الأعور الكذاب. ألا إنه أعور. وإن ربكم ليس بأعور. مكتوب بين عينيه ك ف ز [٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال[٣].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن أم شريك: قال رسول الله ﷺ: ليفرن الناس من الدجال في الجبال. قالت أم شريك: يا رسول الله فأين لعرب؟ يومئذ. قال: هم قليل[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه: إنه أعور: وإنه يجيء بمثال الجنة والنار. فالتي يقول إنها الجنة هي النار وإني أنذركم به كما أنذر به نوح قومه[٥].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال ﷺ من سمع بالدجال فلينأ عنه. فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات[٦].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إن مع لدجال إذا خرج ماء ونارا. فأمالذي يرى الناس أنه نار فماء عذب. وأما

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب الدجال.

(٢) اخرجه البخاري في كتاب الفتن باب الدجال ومسلم في ذكر الدجال

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب الدجال.

(٤) أخرجه مسلم في بقية من أحاديث الدجال.

(٥) أخرجه البخاري ومسلم في الدجال.

(٦) رواه أبو داود انظر عون المعبود جـ١١ ص ٤٤٢ سكت عنه المنذري.

الذي يرى الناس أنه ماء فنار تحرق. فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى أنه نار. فإنه ماء بارد عذب.[1].

مكان خروجه

يخرج الدجال من خراسان لحديث أبي بكر رضي الله عنه.

ويتخذ طريقة بين الشام والعراق لحديث النواس.

ويتبعه من اليهود سبعون ألفا من أصبهان لحديث أنس[2].

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال ﷺ: الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة[3-4]

وفي حديث النواس: إنه خارج خلة[5] بين الشام والعراق[6].

مكان مقتله

في حديث النواس[7] يدركه[8] بباب لد[9] فيقتله[10].

سبب خروجه

عن نافع مولى ابن عمر: لقي ابن عمر ابن صائد[11] في بعض طرق المدينة

---

(١) رواه مسلم في ذكر الدجال. وأبو داود. انظر عون المعبد جـ١١ ص ٤٣٨.

(٢) سيأتي في ذكر أتباعه من اليهود.

(٣) التروس التي ألبست أغشية من الجلد.

(٤) رواه الترمذي. انظر تحفة الأحوذي جـ٦ ص ٤٩٥ حديث حسن غريب.

(٥) طريق وروى حلة. وهي قرية قرب بغداد.

(٦ - ٧) رواه مسلم والترمذي.

(٨) يدرك عيسى الدجال.

(٩) جبل أوبلد بالشام أو فلسطين.

(١٠) وسيأتي قريبا بطوله في ذكر ما يظهر من الخوارق.

(١١) رواه مسلم في ابن صائد. وسيأتي ذكر ابن صائد مفصلا مستقلا.

فقال له قولا أغضبه فانتفخ حتى ملأ السكة. فدخل ابن عمر على حفصة رضي الله عنها - وقد بلغها - فقالت له: رحمك الله. ما أردت من ابن صياد؟ أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: إنما يخرج من غضبة يغضبها؟.

وعنه.. قال ابن عمر: لقيته مرتين[1] قال: فلقيته. فقلت لبعضهم هل تحدثون أنه هو؟ قال: لا والله. قال: قلت: كذبتني. ولقد أخبرني بعضكم أنه لن يموت حتى يكون أكثركم مالا وولدا. فكذلك هو كما زعموا اليوم. قال: فتحدثنا ثم فارقته قال: فلقيته لقية أخرى وقد نقرت عينه. قال: فقلت: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدرى. قال: قلت: لا تدري وهي في رأسك! قال: إن شاء الله خلقها في عصاك هذه قال: فنخر كأشد نخير حمار سمعت. قال: فزعم بعض أصحابي أني ضربته بعصا كانت معي حتى تكسرت. وأما أنا فوالله ما شعرت. قال: وجاء حتى دخل على أم المؤمنين[2] فحدثها. فقالت: ما تريد إليه؟ ألم تعلم أنه قد قال[3] إن أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه؟[4]

أقول: ما ورد في سبب خروجه مرويا عن ابن عمر. إنما يتفق مع الرأي القائل بأن ابن صياد هو الدجال. وكان جابر وابن عمر وعمر يحلفون على ذلك.

وسيأتي في ذكر ابن صياد. مناقشة للخلاف حول كونه الدجال أو غيره.

فإن كان ابن صياد هو الدجال. وأنه لم يمت. وسيخرج آخر الزمان. ويكون منه ما ذكره ﷺ عنه. فسبب خروجه المذكور هنا يمكن قبوله.

أما إذا كان ابن صياد ليس هو الدجال. وأنه قتل يوم الحرة كما ورد (وسيأتي) فلا تستقيم هذه الروايات ولا تصلح سندا لسبب خروجه. فهي نص في ابن صياد.

---

(١) أي لقي ابن عمر ابن صياد.
(٢) أي حفصة.
(٣) أي النبي ﷺ.
(٤) أخرجه مسلم في ابن صائد.

أتباعه من اليهود

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال ﷺ: يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة[١].

أقول: لا منافاة بين هذا، وبين أنه يخرج من خراسان. فهذا الحديث ليس فيه نص على خروجه من أصبهان. وإنما يتبعه من أصبهان الخ.

الخلاف حوله

قال النووي في شرح مسلم. باب ذكر الدجال:

هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله. ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه. وجنته وناره ونهرية واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فيتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرّجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا.. هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدّثين والفقهاء... خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للبخاري المعتزلي وموافقيه.. من أنه صحيح الوجود ولكن الذي يدّعي مخارف وخيالات لا حقائق لها. وزعموا أنه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله عليهم.

وهذا غلط من جميعهم لأنه لم يدّع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له. وإنما يدّعى الإلّهية.، وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذي في عينيه. وعن إزالة

---

(١) رواه مسلم في بقية من أحاديث الدجال.

الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه. ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس تقية وخوفا من أذاه أو رغبة في سد الرمق. لأن فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الألباب مع سرعة مروره في الأمر. فلا يمكث حتى يتأمل الضعفاء حاله ودلائل الحدوث فيه والنقص. فيصدقه من صدقه في هذه الحالة. ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته ونبهوا على نقصه. ودلائل إبطاله.. وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يُخدعون لما معه. لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله. ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحيه: ما ازددت فيك إلا بصيرة.

قال النووي: هذا آخر كلام القاضي رحمه الله[١].

رحلة الدجال ودعوته

يتحدث عن ذلك كعب الأحبار. فيما أخرجه نعيم بن حماد: قال: يتوجه الدجال فينزل عند باب دمشق الشرقي. ثم يلتمس فلا يُقدر عليه. ثم يُرى عند المياه التي عند نهر الكسوة. ثم يطلب فلا يُدرى أين توجه. ثم يظهر بالمشرق فيعطى الخلافة. ثم يظهر السحر. ثم يدعى النبوة. فتتفرق الناس عنه. فيأتي النهر فيأمره أن يسيل إليه فيسيل. ثم يأمره أن يرجع فيرجع. ثم يأمره أن ييبس فييبس. ويأمر جبل طور وجبل زيتا أن ينتطحا فينتطحا. ويأمر الريح أن تثير سحابا من البحر فتمطر الأرض. ويخوض البحر في ثلاث خوضات فلا يبلغ حقويه. وإحدى يديه أطول من الأخرى فيمد الطويلة في البحر فتبلغ قعره فيخرج من الحيتان ما يريد[٢].

---

(١) النووي على مسلم جـ١٨ ص ٥٨.

(٢) ذكر ذلك ابن حجر من فتح الباري جـ١٣ ص ٨٠. وقال: هذا لا يقال من قبل الرأي فيحتمل أن يكون مرفوعا أرسله. ويحتمل أن يكون أخذه عن بعض أهل الكتاب.. وأقول: هذا الاحتمال الثاني هو الأقرب لأنه لم يرد مثله من طرق أخرى.

صفته وشبهه بابن قطن

عن سالم: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. قال النبي ﷺ: بينا أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر ينطف أو يهراق رأسه ماء. قلت من هذا؟ قالوا: ابن مريم. ثم ذهبت ألتفت فإذا رجل جسيم أحمر جعد الرأس أعور العين(١) كأن عينه عنبة طافية(٢) قالوا: هذا الدجال. أقرب الناس به شبها ابن قطن (٣ ٤).

وفي لفظ لأبي داود(٥): رجل قصير أفحج(٦).

---

(١) أي بارزة وروى طافئة اي ذهب ضوؤها. والأول أصح.

(٢) عند البخاري ومسلم: اليمنى. وعند مسلم والطبراني: اليسرى. فالأول أرجح والترجيح إذا لم يمكن الجمع. والقاضي عياض قال: تصح الروايتان معا. بأن تكون المطموسة الممسوهة هي العوراء الطافئة التي ذهب ضوؤها وهي اليمين وتكون الجاحظة البارزة التي تشبه النخاعة في الحائط المجصص هي الطافية وهي اليسرى. وعلى هذا فهو أعور العين اليمنى واليسرى معا فكل واحدة منهما معيبة فإن الأعور من كل شيء المعيب. فيمناه معيبة بذهاب ضوئها. ويسراه معيبة بنتوئها (يراجع فتح البارى حـ١٣ ص ٨٥، ٨٦.)

(٣) رجل من بنى المصطلق من خزاعة.

(٤) رواه البخاري في كتاب الفن باب الدجال.

(٥) والحديث عن عبادة. وفيه: جعد أعور مطموس العين ليس بناتئة ولا حجراء... وقال المنذري وأخرجه النسائي وفيه بقية بن الوليد وفيه مقال اهـ. عون المعبود حـ١١ ص ٤٤٥.

(٦) قصير أفحج الأفحج: هو المتباعد ما بين الساقين. وفي رجليه اعوجاج وهنا وصفه بأنه قصير. وفي حديث ابن عمر المتقدم: جسيم. وفي حديث تميم الدارى (الجساسة) وسيأتي. أنه أعظم إنسان.. ووجه الجمع: أنه لا يبعد أن يكون قصيراً بطينا عظيم الحلقة. قال القارى: وهو المناسب لكونه كثير الفتنة. ويحتمل أن الله يغيره عند الخروج. وأقول: ويؤيد هذا ما روى في حديث ابن عمر: أنه انتفخ حتى ملأ السكة.

وعند أحمد: وعينه اليمني[٣] عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخاعة في حائط مجصص.

ومن حديث أبي هريرة: بعينه اليمنى[٤] طفرة غليظة[٥ ٦].

إشكال

في حديث ابن عمر المتقدم: أن النبي ﷺ في المنام رأى الدجال يطوف بالبيت ويتلو عيسى بن مريم عليه السلام ورؤيا الأنبياء حق ووحى.

فكيف هذا؟!

وقد ثبت أن الدجال يذوب كما يذوب الملح في الماء إذا رأى ابن مريم.

وقد ثبت أنه لا يدخل مكة ولا المدينة.

اجاب القاضي عياض على هذا الإشكال. فقال:

إن رؤيا الأنبياء وإن كانت وحيا إلا أن منها ما يقبل التعبير.

كما أن بعض الروايات لم يقع فيها أن الدجال طاف. وهي أثبت.

وإن منعه من دخول مكة والمدينة إنما هو عند خروجه آخر الزمان[٧].

وبمثل هذا أيضا يوجّه دخول ابن صياد مكة والمدينة. أي قبل خروجه.

ما يظهر من الخوارق عند خروجه

عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال فقال: إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم. وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم. إنه شاب قطط عينه طافية كأني أشبهه بعبد العرى ابن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فإنها جواركم من فتنته. إنه خارج خلة بين الشام والعراق. فعاث يمينا وعاث شمالا. بيا عباد

(٣ - ٤) جاء أن الجاحظة هي اليسرى وهنا اليمنى. كما ورد أن الظفرة باليسرى وورد أنها باليمنى. فالله أعلم.

(٥) الظفرة: شحمه تنبت عند المآق. أو جلدة تخرج في العين من جهة الأنف.

(٦) رواه مسلم في باب الدجال.

(٧) يراجع فتح البارى حـ١٣ ص ٨٦، ٨٧.

الله فاثبتوا. قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم. قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كستة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا. اقدروا له قدره. قلنا يا رسول الله: وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعا وأمدّه خواصر. ثم يأتي القومَ فيدعوهم فيردون عليه قوله. فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم. ويمر بالخزبة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعا سيب النحل. ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض. ثم يدعوه فيقبل. ويتهلل وجهه يضحك. فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين. واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر. وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان كاللؤلؤ. فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلا مات. ونفسه ينتهي حيث ينتهى طرفه.. فيطلبه حتى يدركه بباب لُدّ فيقتله. ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لايدان لأحد بْقتالهم فحرز عبادى إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون...

(وبقية الحديث تأتى إن شاء الله في يأجوج ومأجوج)[1]

هذا الحديث الذي رواه مسلم عن النواس. يصور السنين أو الأيام الأخيرة من عمر الدنيا. يصور العجائب والمعجزات الغريبة إنـه واقع مرير. يتعرض فيه العالم البشري الضعيف لشتى الفتن.. دجال عات شمالا وعاث يمينا.

أيام كالأحلام يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة.

١ - إسراع الدجال في الأرض كالغيث استدبرته الريح

---

(١) رواه مسلم في باب ذكر الدجال.

٢ - يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت.

٣ - يمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها

٤ - يقطع رجُلا جزلتين ثم يدعوه فيقبل.

٥ - ينزل عيسى بن مريم من السماء على أجنحة ملكين.

٦ - تخرج يأجوج ومأأجوج.. و. و

حقائق كالخيال. آمن بها أهل السنة لصحة وصراحة الأحاديث العديدة الواردة فيها وأنكرها - أنكر الدجال - بعض الخوارج والمعتزلة والجهمية. وذهب بعضهم كالجبائي إلى أنه صحيح الوقوع والوجود لكن كل الذى معه خيالات لا حقيقة لها.

وقد سبق أن ذكرت حجتهم والجواب عليها.[١]

وعن أبي سعيد الخذرى رضي الله عنه قال: قال ﷺ: يخرج الدجال.

---

(١) ذكرته تحت عنوان (الخلاف حوله).

شرح الحديث: **أنا حجيجه**: أرفع عنكم باطله بنور النبوة.

حجيج نفسه: عليه أن يدفع عن نفسه بالحجة والتكذيب. **قطط**: شديد جعودة الشعر.

عبد العزى بن قطن: رجل من بني المصطلق من خزاعة كان يهوديا مات في الجاهلية.

فواتح سورة الكهف : من أولها إلى.. إن يقولون إلا كذبا .

خلة: طريقا. وروى: **حلة**: قرية بناحية دجلة. **اثبتوا**: على دينكم وإن عذبكم يوم **كسنة**: طويلة حقا ليناسب ما بعده. أو باعتبار كثرة الغم والبلاء ترى طويلة

سارحتهم: مواشيهم. **وأطول ما كانت ذُرى**: أسنامها عالية.

أسبغه ضروعا: كناية عن كثرة اللبن. **أمد خواصر**: كناية عن الامتلاء وكثرة الأكل **يردون عليه قوله**: يبطلونه بالحجة ولا يقبلون **ممحلين**: يتيبس أرضهم لانقطاع المطر.

يعاسيب النحل: الأمراء إذا ساروا تتبعهم الجماعة. **رمية الغرض**: بينهما فراغ يمشى فيه الدجال.

جمان كاللؤلؤ: عرق على شكل حبات الفضة وكاللؤلؤ في الصفاء.

لا يحل لكافر: لا يستطيع أن يعيش إذا أحس بريح نفس عيسى. والدجال ستثنى لحكمة إراقة دمه في حربة عيسى. **لدّ**: موضع أو قرية بالشام أو بفلسطين **حرّز عبادي إلى الطور**: أي احفظهم واجعل الطور حِرْزا لهم.

فيتوجه قبله رجل من المؤمنين[1] فيلقاه المسالح مسالح الدجال[2] فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج قال: فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض. أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه؟ فينطلقون به إلى الدجال. فإذا رآه المؤمن قال: يأيها الناس. هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ. قال: فيأمر الدجال به فيشج. فيقول: خذوه فشجوه. فيوسع ظهره وبطنه ضربا. قال: فيقول: أو ما تؤمن بي، فيقول: أنت المسيح الكذاب. قال: فيؤمر به فيوشر بالميشار[3] من مفرقه حتى يفرق بين رجليه. قال: ثم يمشي للدجال بين القطعتين. ثم يقول له: قم. فيستوى قائما ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة[4] قال: ثم يقول: يأيها االناس[5] إنه لا يفعل بعدى بأحد من الناس فقال: فيأخذه الدجال ليذبحه. فيُجعل ما بين رقبته إلى ترقوته[6] نحاسا[7]. فلا يستطيع إليه سبيلا. قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به. فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما ألقى في الجنة فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين[8، 9].

وعنه رضي الله عنه قال، قال ﷺ: يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل

---

(١) يقال هو الخضر عليه السلام. وهذا يقتضى أن يكون الخضر حيا. كما رجحه النووي وجمهور الصوفية وبعض الفقهاء.

(٢) - مقدمة جيشه المسلحون.

(٣) يقطع بالمنشار.

(٤) زيادة علم ويقين بأنك كاذب ومموه.

(٥) يقول المؤمن وهو الخضر.

(٦) هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق.

(٧) الجاعل هو الله تعالى.

(٨) المراد بها قتله الأول

(٩) الحديث اخرجه مسلم في ذكر الدجال.

وفي عجز الدجال آخرا: دليل على أن قدرته كانت مستعارة للاستدراج والابتلاء فسلبت عنه.

نقاب المدينة[١] فينزل بعض السباخ[٢] التي تلي المدينة. فيخرج إليه رجل وهو خير الناس أو من خيار الناس[٣] فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه. فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا. فيقتله. ثم يحييه. فيقول: ووالله ما كنت فيك أشد بصيرة منى اليوم. فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه[٤].

وزاد مسلم: قال أبو اسحق: يقال إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام[٥].

لا يدخل الدجال مكة ولا المدينة

اقتضت مشيئة الله تعالى أن يحفظ حرميه الشريفين من فتنة وهذا الكذاب. فلا يمكن هذا اللعين من حِماه.

ولكنه سيتجه قبل بيت المقدس ويقصده. فهناك يكون هلاكه ونهايته.

كما أن يأجوج ومأجوج يكون هلاكهما بحرم بيت المقدس..

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: يأتي المسيح[٦] من قبل المشرق همته المدينة حتى ينزل دُبُر أحدُ، ثم تصرف الملائكة وجهه قِبَل الشام. وهنالك يهلك[٧].

وعن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال: لا يدخل المدينة رعبُ المسيح الدجال. لها يومئذ سبعة أبواب. على كل باب ملكان[٨].

---

(١) طرقها.

(٢) الأراضي السبخةّ التي لا تنبت.

(٣) فسر في زيارة مسلم بأنه الخضر.

(٤) رواه البخاري ومسلم كلاهما في باب الدجال.

(٥) النووي على مسلم حـ ١٨ ص ٧٢.

(٦) أي الدجال.

(٧) يقتله عيسى عليه السلام. والحديث متفق عليه ورواه الترمذي وقال صحيح. تحفة الأحوذي حـ ٦ ٥١٢.

(٨) يدفعان الدجال عن دخولها.. رواه البخاري في كتاب الفتن باب الدجال.

وعن أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ: الدجال لا يولد له. ولا يدخل المدينة ولا مكة[١].

وفي حديث تميم الدارى (الجساسة) وسيأتي[٢] قال عن الدجال: فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة. هما محرمتان علّى كلتاهما... وقد قرره النبي ﷺ.

مدة لبثه.

قبل أن نسوق الأحاديث الواردة في ذلك. يجدر بنا أن ننتبه إلى حقيقة هامة. إن المقاييس الزمنية المعروفة الآن ستختلف طولا وقصرا آخر الزمان. وتظهر أمور عجيبة غير عادية. كما سيأتي في الكلام عن طلوع الشمس من مغربها. أنه تأتى ليلة قدر ثلاث ليال لا يعرفها إلا المتهجدون. يقوم فيقرأ حزبه. ثم ينام. ثم يقوم فيقرأه ثم ينام. ثم يقوم. فعندها يموج الناس بعضهم في بعض حتى إذا صلوا الفجر وجلسوا فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها. فيضج الناس ضجة واحدة. حتى إذا توسطت السماء رجعت.

فلا عجب إذا سمعنا أن السنة كالشهر. أو أن اليوم كالسنة فكل شيء سيتغير. والمفاهيم والحقائق ستتبدل.

ولعل هذا هو سبب اختلاف الروايات في مدة لبث الدجال كما سنرى في الأحاديث الآتية.

عن أسماء بنت يزيد. قال النبي ﷺ: يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم. واليوم كاضطرام السعفة في النار[٣].

---

(١) رواه مسلم. وسيأتي في ذكر ابن صياد.

(٢) رواه مسلم في الجساسة. وسيأتي بطوله قريبا في ذكر الجساسة.

(٣) رواه البغوي في شرح السنة. راجع مرفاة المفاتيح حـ ٥ ص ٢١١.

وفي حديث النواس الذي تقدم قريبا[1].. قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوما. يوم كسنة. ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم[2].

وفي حديث تميم الدارى - وسيأتي بطوله[3].. فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة.

ومن حديث عبد الله بن عمرو. قال ﷺ يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين. لا أدرى أربعين يوما. أو أربعين شهرا. أو أربعين عاما. فيبعث الله عيسى عليه السلام فيطلبه فيهلكه. ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة. ثم يرسل الله ريحا... الحديث[4].

حال الناس زمن خروجه

فيما وصلنا إليه من آثار نجد أن الناس سيكونون في ضعف وضنك وشدة وجوع وظمأ وجهل.

وهذه أسباب تساعد الدجال على نشر دعواه. وسرعة انتشاره. وإقبال الناس عليه.

يتبعه من المسلمين سبعون ألفا من الأغنياء.

وأكثر أتباعه من اليهود والنساء.

يخرج ومعه سبعون ألفا من يهود أصبهان.

يأتيه الأعرابي وقد اشتد به الحال. وعظمت عليه المصائب فيستغل الدجال جهله وحاجته فيقول له: أرأيت إن أحييت لك إبلك ألست تعلم أني ربك؟ فيقول: بلى.

---

(١) في باب خوارق الدجال.

(٢) رواه مسلم في ذكر الدجال.

(٣) رواه مسلم في الجساسة. وسيأتي بطوله في ذكر حديث الجساسة.

(٤) رواه مسلم في ذكر الدجال.

سيكون معه جبل من خبز ونهر من ماء. والناس جوعى وظمأى وليس لديهم خبز ولا ماء. فماذا يمنعهم من إتباعه؟

إنها فتنة ومحنة. يقعون فيها تحت ضغط الحاجة. أو وهم لا يدرون.

يقولون: إن أصحاب الثروة يتبعونه لتحصيل الكثرة من شدة تعلقهم بالدنيا. وكذلك يرجون من اتِّباعه بلوغ المقاصد والمناصب. أما الفقراء فهم في أمان الله. إلا إذا كانوا طامعين في المال.

وأقول: انها فتنة عامة جامعة. الأغنياء طامعون في الزيادة أو خائفون على ما في أيديهم.

والفقراء يرجون الخبز والماء لشدة جوعهم وظمإهم.

وأهل البادية ومن على مستواهم من الجهل. يُخدعون به فيتبعونه لحمقهم. كما يتبعه كثير من النساء وهن الناقصات العقل والدين. ويتبعه اليهود تعصبا له لأنه منهم.

وورد أنه لا ينجو منه إلا سبعون ألفا من الرجال وخمسون ألفا من النساء. ولعَلهم الذين يعرفون كذبه ويخافون منه فيفرون إلى الجبال أو يختفون في البيوت. أو هم الذين يقفون في سبيله فيحاصرهم وهم في صلاة الفجر حين ينزل عيسى عليه السلام فيقتله. ويمسح على وجوههم مما أصابهم من رُعبه.

وأقول: إن هذا كثير على العقل أن يتصوره. هذا العدد فقط هم الذين سينجون؟ وقد ورد أنه. ورُعْبه. لا يدخل مكة ولا المدينة. فكم يكون عدد ما فيهما وقتئذ؟

وكم يكون عدد الذين يفرون إلى الجبال ويهربون منه؟

وكم عدد أتباع المهدى وجيشه؟

وكم مع عيسى عليه السلام؟

والأهم من هذا:

هل فتنته ستعم الأرض كلها؟ هل سيدخل أفريقيا وأوروبا وأمريكا وغيرها؟ وما الدليل؟

لم تحدثنا الآثار عن رحلته إلا أنه يخرج من المشرق. بل من خراسان. ويتخذ طريقه بين الشام والعراق. ويتجه إلى المدينة وينزل في سباخها. وتصرف الملائكة وجهه عنها إلى جهة بيت المقدس وهناك يلقى حتفه.

فأين الأخبار عن رحلته إلى ما عدا هذه المنطقة من الأرض؟ أرى أن الناس بالغوا في تصورهم هذا الرجل. وظنوه يملأ الأرض ويغطها بفتنته. وشارع ذلك بينهم وذاع.

ولكن يمكنني أن أطمئن أهل المدينة وأهل مكة أولا: بأن رعب الدجال لن يصل إليهم. حسب ما جاء في الأحاديث الصحيحة. واطمئن أهل المناطق البعيدة عن مركز خطر الدجال. وأقصد منطقة الشرق الأوسط. التي هي مركز الإشعاع الروحي. ومهبط الروح الأمين. ومبعث الرسل عليهم السلام. ومهلك فرعون والتتار والدجال ويأجوج ومأجوج - الذين يكونون بعيدين عن هذه المنطقة التي سيصول فيها الدجال ويجول: هم في أمان فلم يرد ما يجعلنا نقول مع القائلين إن خطر الدجال عام مطبق.

ولعلنا متفقون على أن الدجال. بل علامات الساعة والساعة وما فيها. كلها أمور غيبية لا يعلمها إلا الله. أما الناس فلا علم لهم بشيء منها إلا ما جاءت به الرسلُ عليهم السلام عن ربهم عز وجل.

فمعتمدنا هو الأحاديث الصحيحة والمتواترة. ولذلك نهجت في هذا البحث هذا المنهج. وهو أنني أطلق للأحاديث عنانها لتتحدث هي. فحديثها الصدق. وحديثها خير من حديثي ألف مرة. وحديثي لن يخرج عنها.

فإلى ما جاء في هذا المقام من آثار تشهد لما قيل:

عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفا عليهم السيجان[1].

وفي حديث عثمان بن أبي العاص (وسيأتي[2]) أكثر تبعه اليهود والنساء.

---

(١) السيجان كتيجان جمع ساج كتاج أي طيلسان أخضر. أي أنهم من أصحاب الثروة.

(٢) سيأتي في الكلام عن نزول عيسى.

وعن أسماء بنت يزيد: كان رسول الله ﷺ في بيتي فذكر الدجال. فقال: إن بين يديه ثلاث سنين:

سنة: تمسك السماء فيها ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها.

والثانية: تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها.

والثالثة: تمسك السماء قطرها كله والأرض نباتها كله.

فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلا هلك.

وإن من أشد فتنته[١]: أنه يأتي الأعرابي[٢] فيقول: أرأيت إن أحييت لك إبلك ألست تعلم أني ربك؟ فيقول: بلى فيمثل له الشيطان نحو إبله[٣] كأحسن ما يكون ضروعا وأعظمه أسنمة قال: ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول: أرأيت إن أحييت لك أباك وأخاك ألست تعلم أني ربك؟ فيقول: بلى. فيمثل له الشيطان نحو أبيه ونحو أخيه.

قالت: ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته. ثم رجع. والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم قالت: فأخذ بلحمتي الباب. فقال: مهيم أسماء[٤]. قلت: يا رسول الله: لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال. قال: إن يخرج وأنا حي فأنا حجيجه. وإلا فإن ربي خليفتي على كل مؤمن، فقلت: يا رسول الله. اوالله إنا لنعجن[٥] العجين فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين؟ يومئذ قال: يجزئهم ما يجزىء أهل السماء[٦] من التسبيح والتقديس[٧].

---

(١) أي الدجال.

(٢) اي البدوي ومن في معناه من الغباء.

(٣) تتمثل له الشياطين بما يشبه إبله. ولعل في هذا حجة لبعض المعتزلة الذين يقولون أن ما مع الدجال إنما هو مخارق وخيالات لا حقيقة لها.

(٤) مهيم: كلمة استفهام ومعناها: ما الحال وما الخبر؟

(٥) أي كيف حال المؤمنين وقت هذا القحط وانحصار وجود الخبز عند الدجال، والحال أننا من قلة صبرنا عن الأكل ما نكاد نعجن ونخبز حتى يدركنا الجوع.

(٦) أي عليهم أن يلزموا التسبيح والتقديس كأهل السماء فيغنيهم الله عن الأكل والشرب.

(٧) قال في مرقاة المفاتيح حـ٥ ص٢١٣ الحق به ما رواه أحمد وأبو داود والطيالسي. وقيل: انفرد به أحمد عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عنها.

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: ما سأل أحد رسول الله ﷺ أكثر مما سألته. وإنه قال لي: ما يضرك[١] قلت: إنهم يقولون[٢] إن معه جبل خبز ونهر ماء. قال: هو أهون على الله[٣] من ذلك[٤].

ما يكون بعد الدجال

يقضي الناس فترة طيبة يستريحون فيها من عنت ما لاقوا وشدة ما أصابهم أيام الدجال وما سبقها من مقدمات قاسية وهذه الفترة ليست طويلة. إنها سبع سنوات يعيشونها في أمان وسلام ليس بين اثنين عداوة ورزقهم حسن وعيشهم رغيد.

بعدها يرحل أهل الخير والإيمان عن الدنيا. ولا يبقى فيها إلا شرار الناس وجهالهم. فيوسوس لهم الشيطان ويزين لهم عبادة الأوثان. وعلى هؤلاء تقوم الساعة[٥].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال ﷺ: يخرج الدجال فيمكث أربعين. لا أدرى أربعين يوما أو شهرا أو عاما. فيبعث الله عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود. فيطلبه فيهلكه. ثم يمكث في الناس سبع سنين[٦] ليس بين اثنين عداوة. ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام[٧] فلا

---

(١) جملة معناها الدعاء: أي كافيك الله شرّه

(٢) القائل: اليهود. أو الناس.

(٣) الدجال أهون على الله وأحقر من أن يحقق له ذلك ليكون آية على صدقه وإنما هو للابتلاء. فيثبت المؤمن ويزل الكافر. وفي الحديث: إشارة إلى أنه في زمان سيكون قحط الماء أيضا ابتلاء للعباد وزوالا للبركة لعموم الفساد.

(٤) الحديث رواه البخاري ومسلم كلاهما في كتاب الفن باب الدجال.

(٥) تقدم في باب (لا تقوم إلا على شرار الناس) أن الساعة لا تقوم على أحد يقول الله الله. وأنه لن يبقى إلا من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم. وتطوف نساء دوس حول ذي الخلصة كما كانت عادتهن في الجاهلية الخ.

(٦) قبل إن السبع قيد لقوله ليس بين اثنين عدادة. أو بيان لمدة بقاء عيسى وسيأتي شرح ذلك في الكلام عن نزوله.

(٧) تقدم في الكلام عن لا تقوم إلا على أشرار الناس - فيما روى أعن أبي هريرة: أنها تأتى من اليمن فيحتمل انها ريحان.

يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه. فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفوةن معروفا ولا ينكرون منكراً.

فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستحيون[1]، فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان. وهم في ذلك دارّ رزقهم حسن عيشهم[2] ثم ينفخ في الصور.. الحديث[3].

فتنة الدجال أكبر من فتن الحياة كلّها.

فتن الحياة كثيرة. نساؤها. ومالها. وأولادها. ومناصبها. وحلوها ومرها والدخول إليها والخروج منها. وغير ذلك.

ولكن إنسان الغد الذي صورناه في الصورة التي سيكون عليها (في حال الناس عند خروج الدجال) هذا الإنسان سيكون ضعيفا تماما أمام فتنة الدجال. وتكون فتنة الدجال من الشدة والقوة والقسوة بحيث ترى واقعيا أقسى وأعنف فتنة يواجهها الإنسان.

وقد أخبر بذلك ﷺ.

فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال[4].

حمار الدجال.

حتى حمار الدجال له معناه ومغزاه. واهتمت به السنة..

---

(١) يأتيهم الشيطان وهم في خفة الطير مضطربين. وفي أحلام السباع خالين من العلم: ناصحا لهم ومشيرا بعبادة الأوثان. ويزيد لهم أنها توصلهم إلى رضا الرحمن.

(٢) وهم وقتئذ يحيون حياة المادية وحدها. فلا خير ولا إيمان.

(٣) الحديث: رواه مسلم في ذكر الدجال.

(٤) الحديث: رواه مسلم في بقية من أحاديث الدجال.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه. أن رسول الله ﷺ قال:؛ يخرج الدجال على حمار أقمر[1] ما بين أذنيه سبعون باعا[2 3].

تميم الداري.. الجساسة

عن فاطمة بنت قيس قالت سمعت منادي رسول الله ﷺ ينادي الصلاة جامعة. فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ. فلما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك. فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه. ثم قال: هل تدرون لِمَ جمعتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة. ولكن جمعتكم لأن تميما الداري كان رجلا نصرانيا فجاء وأسلم وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال.

حدثني: أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا في البحر فأرفئوا إلى جزيرة حين تغرب الشمس فجلسوا في أقرب السقبينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثيرة الشعر لا يدرون ما قُبله من دبره من كثرة الشعر. قالوا: ويلك. ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة. انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمّت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة. قال: فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير. فإذا فيه أعظم إنسان ما رأيناه قط خَلقا. وأشده وثاقا. مجموعة يده إلى عنقه. ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلك. ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري. فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهرا ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثيرة الشعر لا يدري ما

---

(١) شديد البياض. ولعل في ذلك إشارة إلى أن حمارة أحسن من وجهه.

(٢) الباع طول ذراعي الإنسان. أقول: وهل هذا معقول؟! وإذا كان الأمر كذلك. فهل الحمار عظيم الجثة أيضا ليستطيع حمل الدجال. وهو عظيم الجثة وإن كان قصيرا. أو أن الحمار عادى وأذناه هما الطويلتان؟ والجواب عن هذا: من يعش يـر. ولا نريد أن نرى.

(٣) قال في مرقاة المفاتيح حـ٥ ص ٢١٣ رواه البيهقي في كتاب البعث والنشور.

قبله من دبره من كثرة الشعر. فقلنا: ويلك ما أنتِ؟ فقالت أنا الجساسة. قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق. فأقبلنا إليك سراعا وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة. فقال: أخبروني عن نخل بَيْسان. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر. قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟. قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زُغَر. قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم. هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل. قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه. وإني مخبركم عني. إني أنا المسيح. وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليّ كلتاهما. كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدا منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها. وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها. قالت: قال رسول الله ﷺ. وطعن بمخصرته في المنبر. هذه طيبة. هذه طيبة. يعني المدينة.

ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟ فقال الناس: نعم. فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة. ألا إنه في بحر الشام أو في بحر اليمن. لا بل من قبَل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو وأومأ بيده إلى المشرق. قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ[1].

وفي رواية عنها. قالت: فإذا أنا بامرأة - تجر شعرها. قال: ما أنت قالت: أنا الجساسة. اذهب إلى هذا القصر. فأتيته فإذا رجل يجر شعره

---

(١) رواه مسلم في قصة الجساسة.

مسلسل في الأغلال ينزو فيما بين السماء والأرض. فقلت: من أنت؟ قال: أنا الدجال[1].

ابن صيّاد

يقال له: ابن صياد. وابن صائد. وسُمي بهما في الأحاديث. واسمه صاف. وقصته مشكلة. وأمره مشتبه. في أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أو غيره. ولا شك في أنه دجال من الدجاجلة.

قال العلماء: وظاهر الأحاديث أن النبي ﷺ لم يكن أوحى إليه بأنه الدجال ولا غيره. وإنما أوحي إليه بصفات الدجال وكان في ابن صائد قرائن محتملة. فلذلك كان النبي ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره. ولهذا قال لعمر رضي الله عنه: إن يكن هو فلن تستطيع قتله.

وأما احتجاج ابن صياد وهو متوجه إلى مكة:

بأنه مسلم والدجال كافر. وبأنه وُلد له والدجال لا يولد له. وبأنه دخل المدينة ومتوجه إلى مكة والدجال لا يدخل المدينة ولا مكة:

---

(١) رواه أبو داود. انظر عون المعبود حـ١١ ص ٤٦٩. **شرح مفردات الحديث: الجساسة:** سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال. وعن عبد الرحمن ابن عمرو: إنها دابة الأرض المذكورة في القرآن (وسيأتي بيان ذلك في خروج الدابة).

فاطمة بنت قيس: أخت الضحاك. من المهاجرات الأول. طلقها ابن المغيرة. ولما انتهت. عدتها خطبها ﷺ لأسامة بن زيد. **لخم وجذام:** قبيلتان. **أرفئوا إلى جزيرة:** توقفوا فيها. **أهلب:** كثيرة شعر الذنب. **قدرتم خبري:** لن أخفيه عنكم. **بيسان وعين زُعر:** قريتان بالشام.

ينزو: يثب. **أوفى بحر اليمن:** أو: أتى بها لأنه لم يشأ أولا أن يبيّن.

أقول: في حديث الجساسة هذا وفي حديث ابن صياد الذي سيأتي بعده: **ما يفيد وجود الدجال الآن** واستمراره حتى يأتي وقت خروجه.

وما يفيد أيضا عموم رحلته إذ يقول: فأسير في الأرض فلا أدع قريةً إلا هبطتها غير مكة والمدينة. وهذا وإن كان من كلام الدجال إلا أن النبي ﷺ قال: أعجبني حديث تميم. إنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه.

فلا دلالة له فيه. لأن النبي ﷺ: إنما أخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه في الأرض.

وكذلك: إظهاره الإسلام. وحجه. وجهاده. وإقلاعه عما كان عليه فليس بصريح في أنه غير الدجال.

ومن اشتباه قصته وأنه الدجال أو دجال من الدجالين: قوله للنبي ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟

ودعواه أنه يأتيه صادق وكاذب.

وأنه يرى عرشا فوق الماء.

وأنه لا يكره أن يكون هو الدجال.

وأنه يعرف موضعه. وقوله إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن وانتفاخه حتى ملأ السكة.

وكان جابر. وابن عمر. يحلفان أن ابن صياد هو الدجال لا يشكان. فيه. ولما قيل لجابر: إنه أسلم. قال: وإن أسلم. فقيل له: إنه دخل مكة وكان في المدينة. قال: وإن دخل.

وحلف عمر أمام النبي ﷺ. على ذلك. فلم ينكره.

قال الخطابي: واختلف السلف في أمره بعد كبره.

فرُوي أنه تاب من ذلك القول. ومات بالمدينة. وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس. وقيل لهم: اشهدوا.

ورُوي عن جابر قال: فقدنا ابن صياد يوم الحرة[١].

وهذا يعطل رواية من روى أنه مات بالمدينة وصلي عليه[٢]

وقال البيهقي: اختلف الناس في أمر ابن صياد اختلافا كثيرا. هل هو الدجال؟ قال: ومن ذهب إلى أنه غيره: احتج بحديث تميم الداري في قصة الجساسة.

---

(١) رواه أبو داود. انظر عون المعبود جـ١١ ص ٤٨٤ والمراد يوم غلبة يزيد على أهل المدينة.

(٢) أقول: إنما يعطلها: أنه لم يمت في المدينة. ففقده يوم الحرة لا يمنع من موته بالمدينة.

وبأن توافق صفة الدجال مع صفة ابن صياد ليست دليلا على أنه هو ففي الصحيح أن الدجال يشبه عبد العزي بن قطن وليس هو.

ويأن حديث جابر. وحلفه على أنه الدجال. بناء على أنه سمع عمر رضي الله عنه يحلف أمام النبي ﷺ. ليس فيه أكثر من سكوت النبي ﷺ على قول عمر. وهذا يحتمل أنه كان كالمتوقف في أمره - لا أنه وافقه وأقره - ثم جاءه البيان أنه غيره. كما صرح به في حديث تميم الداري.

هذا كلام البيهقي. وأختار أنه غيره.

وقال النووي: وصح عن عمر وابن عمر وجابر رضي الله عنهم أنه الدجال.

فعن محمد بن المنكدر قال: كان جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن صياد الدجال. فقلت: أتحلف بالله؟ فقال: إني سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحلف على ذلك عند رسول الله ﷺ. فلا ينكره[1].

وعن نافع: أن ابن عمر رضي الله عنهما. كان يقول: والله ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد[2].

أقول: بعد الذي تقدم[3] نلاحظ أن:

(١) لا شك أن ابن صياد في صغره كان دجالا.

(٢) اختلف السلف فيه بعد كبره.

(٣) يميل الخطابي والبيهقي إلى أنه غير الدجال. ورجحوا إسلامه وتوبته وحجه. وموته بالمدينة. وصلاتهم عليه.

(٤) يميل النووي إلى أن ابن صياد هو الدجال. أخذا من حلف عمر وابن عمر وجابر. رضي الله عنهم.

---

(١) رواه الشيخان وأبو داود. انظر عون المعبود حـ١١ ص ٤٨٣ وجامع الأصول ح-١١ ص ٦٥

(٢) رواه أبو داود عون المعبود ح١١ ص ٤٨٣ وفيه. الحديث سكت عنه المنذري.

(٣) ما تقدم يراجع فيه: النووي على مسلم حـ١٨ ص ٤٦ وعون المعبود حـ١١ ص ٤٨٣ وما بعدها.

وإني لسائل نفسي بعد ذلك. هل ابن صياد هو الدجال أو غيره؟ وإذا كانوا في عصر الرسول ﷺ وما بعده قد اختلفوا وأختلفت آراؤهم. فهل لنا نحن أن نقرب هذا الاختلاف أو نحقق المسألة ونقطع فيها بجواب؟

والجواب. لماذا لا؟

إن خبر تميم الداري صحيح وصريح. وثابت من طرق متعددة.

وابن صياد ليس إلا شبهة عرضت لرسول الله ﷺ فسعى لمعرفة أصلها. ولم يقل إنه هو. لأنه عليه السلام لم يوح إليه بذلك. وحاول أن يكشف حاله. وقال لعمر: إن يكنه فلن تقدر على قتله.

وحلفُ عمر كان لما غلب على ظنه. والحلف جائز على الظن الغالب ولم يكن بلغه خبر الجساسة. لعله رجع بعد ذلك.

ولا يمكن أن يكون ابن صياد هو المذكور في حديث الجساسة. فالأول شبه محتلم. والثاني شيخ موثق بالحديد في جزيرة بالبحر. والأول يناظره رسول الله ﷺ ويسائله. والثاني يسأل عن رسول الله ﷺ ويستفهم عن أخباره. والأول شاهد يراه الجميع في المدينة في عهد الرسول ﷺ وبعد عهده. والثاني لم يره إلا أهل السفينة.

والحقيقة لا تتعدد..

ويمكن أن نجيب بعد هذا فنقول:

إن ابن صياد ليس هو الشيخ المسجون في الجزيرة الوارد في حديث الجساسة.

وليس هو الدجال الأعظم. بل هو دجال صغير. قطعا.

والرسول ﷺ كان أولا متوقفا فيه.

وحلف جابر وابن عمر وعمر: كان قبل اطلاعهم.

والله اعلم..

لماذا يقتل النبي ﷺ ابن صياد؟

سواء كان دجالا أكبر أو دجالا أصغر فهو يستحق القتل. فإن كان الأول.

فالنبي ﷺ لم يقتله لأن الذي سيقتله إنما هو عيسى بن مريم عليه السلام. وإن كان الثاني. فسبب عدم قتله. إما لأنه كان دون البلوغ. واختار ذلك القاضي عياض.

وإما لكون ذلك كان في أيام مهادنة اليهود. وكان ابن صياد منهم أو دخيلا فيهم. وجزم بذلك الجواب الخطابي[1].

حقيقة ابن صياد:

كان النبي ﷺ يبلغه ما يدعيه ابن صياد من الكهانة ويتعاطاه من الكلام في الغيب. فامتحنه ليعلم حقيقة حاله. وليظهرها للصحابة رضي الله عنهم. ويبين ويثبت للناس أنه كاهن ساحر يأتيه الشيطان فيلقي على لسانه ما يلقيه الشيطان إلى الكهنة. ففاجأه مرة واتقى بجذوع النخل عسى يسمع منه شيئاً قبل أن يراه. وامتحنه بإضمار قول الله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) فقال ابن صياد: هو الدخ. وهو لغة في الدخان. فقال له النبي ﷺ: اخسأ فلن تعدو قدرك. أي إنك لن تتجاوز قد أمثالك من الكهان الذين يحفظون من إلقاء الشيطان كلمة واحدة من جملة كثيرة. بخلاف الأنبياء فإنهم يوحي الله تعالى إليهم من علم الغيب ما يوحي واضحا كاملا. وبخلاف ما يلهمه الله تعالى ألأولياء من الكرامات. وقال القاضي: والأصح أنه لم يهتد من الآية التي كتبها النبي ﷺ في يده وخبأها وامتحنه بها. إلا لهذا اللفظ الناقص على عادة الكهان إذا ألقى الشيطان إليهم بقدر ما يخطف قبل أن يدركه الشهاب. ويدل عليه قوله ﷺ: اخسأ فلن تعدو قدرك. أي القدر الذي يدرك الكهان[2].

بعض الآثار في ابن صياد:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ. فمررنا

---

(١) ذكرها البيهقي وغيره. انظر عون المعبود جـ١١ ص ٤٨٤.

(٢) يراجع النووي على مسلم جـ١٨ ص ٤٨/٤٩.

بصبيان فيهم ابن صياد. ففر الصبيان وجلس ابن صياد. فكأن رسول الله ﷺ كره ذلك. فقال له النبي ﷺ: تربت يداك. أتشهد أني رسول الله؟ فقال: لا بل تشهد أني رسول الله؟. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ذرني يا رسول الله حتى أقتله. فقال رسول الله ﷺ: إن يكن الذي ترى فلن تستطيع قتله[1]

وعنه رضي الله عنه: قال: كنا نمشي مع النبي ﷺ فمر بابن صياد. فقال له ﷺ: قد خبأت لك خبأ. فقال: دخ. فقال رسول الله ﷺ: اخسأ فلن تعدو قدرك. فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله دعني فأضرب عنقه. فقال رسول الله ﷺ: دعه فإن يكن الذي تخاف لن تستطيع قتله[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لقيه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما في بعض طرق المدينة. فقال له ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ فقال ﷺ: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله. ماذا ترى؟ قال: أرى عرشا على الماء. فقال ﷺ: ترى عرش إبليس على البحر. قال: وما ترى؟ قال: أرى صادقين وكاذبا أو كاذبين وصادقا. فقال: ﷺ: لُبس عليه فدعوه[3].

وعنه رضي الله عنه: أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن تربة الجنة[4] فقال: درمكة بيضاء مسك خالص[5].

وعن ابن عمر: أن عمر رضي الله عنهما. انطلق مع النبي ﷺ في رهط من أصحابه قِبَل ابن صياد حتى وجدوه يلعب مع الصبيان في أُطُم بني مغالة[6] وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم. فلم يشعر حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره بيده. ثم قال: أتشهد أني رسول الله؟ فنظر إليه فقال: أشهدُ أنك رسول الأميين. ثم قال ابن صياد: أتشهد أني رسول الله؟ فرضّه[7] النبي ﷺ

(١ - ٢) أخرجها مسلم في ابن الصياد.

(٣ - ٤) رواها مسلم في ابن صياد. والدرمكة: دقيق الحواري الناعم الخالص البياض

(٥) وفي رواية أن النبي ﷺ هو الذي سأل ابن صياد عن تربة الجنة وكلاهما في مسلم.

(٦) أي حصنهم.

(٧) أي ضغطه حتى ضم بعضه لبعض وقال النووي: هي: فرفضه. أي قطع سؤاله.

ثم قال: آمنت بالله ورسله. ثم قال لابن صياد: ماذا ترى؟ قال: يأتيني صادق وكاذب[١] قال ﷺ: خلط عليك الأمر. قال ﷺ: إني خبأت لك خبيئاً. وخبأ له (يوم تأتي السماء بدخان مبين) فقال: هو الدخ. فقال: اخسأ فلن تعدو قدرك. قال عمر: يا رسول الله أتأذن لي فيه أن أضرب عنقه؟ قال ﷺ: إن يكن هو لا تسلط عليه وإن لم يكن هو فلا خير لك في قتله[٢].

قال ابن عمر... انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأبيّ بن كعب الأنصاري يؤمان النخل التي فيها ابن صياد. فطفق رسول الله ﷺ يتقي بجذوع النخل وهو يختل[٣] أن يسمع من ابن صياد قبل أن يراه. وابن صياد مضطجع على فراشه في قطيفة له فيها زمزمة[٤] فرأت أم ابن صياد النبي ﷺ وهو يتقى بجذوع النخل. فقالت: أي صاف -وهو اسمه: هذا محمد. (فتناهى ابن صياد[٥] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو تركته لبيّن[٦].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلاما ممسوحة عينه. طالعة نابه. فأشفق رسول الله ﷺ أن يكون الدجال. فوجده تحت قطيفة يهمهم. فآذنته أمه[٧] فقالت: يا عبد الله: هذا أبو القاسم. فخرج من القطيفة. فقال ﷺ: مالها؟ قاتلها الله. لو تركته لبيّن[٨].

وعن أبي بكرة قال: قال ﷺ. يمكث أبوا الدجال ثلاثين عاما لا يولد لهما ولد. ثم يولد لهما غلام أعور أضرس[٩] وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه. ثم

(١) تارة يأتيني ملك صادق وتارة شيطان كاذب.
(٢) تكملة الحديث ما بعده.
(٣) ختّله كضربه: خَدَعَه.
(٤) صوت خفي لا يفهم.
(٥) انتهى من الزمزمة وسكت.
(٦) لو لم تنبهه أمه لأظهر ما في نفسه. والحديث رواه البخاري في كتاب الجنائز. باب ٧٩. ومسلم في ابن صياد.
(٧) أعلَمتْه.
(٨) أخرجه البغوي في السنة. يراجع مرقاة المفاتيح جـ ٥ ص ٢٢٠
(٩) عظيم الضرس طويل الناب

نعت لنا رسول الله ﷺ أبويه فقال: أبوه طوال ضرب اللحم[١] كأن أنفه منقار[٢]. وأمه امرأة فرضاخية[٣] طويلة اليدين. فقال أبو بكرة: فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة. فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه. فإذا نعت رسول الله ﷺ فيهما. فقلنا: هل لكما ولد؟ فقالا: مكثنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد. ثم ولد لنا غلام أعور أضرس وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه قال: فخرجنا من عندهما. فإذا هو منجندل في الشمس[٤] في قطيفة. وله همهمة فكشف عن رأسه فقال: ما قلتما؟ قلنا: وهل سمعت ما قلنا؟ قال: نعم. تنام عيناي ولا ينام قلبي[٥].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لقيته وقد نقرت عينه[٦] فقلت: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدري. قلت: لا تدري وهي في رأسك! قال: إن شاء الله خلقها[٧] في عصاك. قال: فنخر كأشد نخير حمار سمعت[٨].

وعن نافع، لقي ابن عمر رضي الله عنهما ابن صياد. فقال له قولا أغضبه فانتفخ حتى ملأ السكة. فدخل ابن عمر على حفصة رضي الله عنها. وقد بلغها. فقالت له: رحمك الله. ما أردت من ابن صياد؟ أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: إنما يخرج من غضبة يغضبها[٩].

ابن صياد يدافع عن نفسه:

الظاهر أن بداية ابن صياد تختلف عن نهايته.

---

(١) ضرب اللحم: خفيفه.

(٢) طويل يشبه منقار الطائر.

(٣) ضخمة. عظيمة الثديين

(٤) ملقى على وجه الأرض.

(٥) رواه الترمذي. وقال حسن غريب. يراجع تحفة الأحوذي حـ٦ ص ٥٢٢.

(٦) ورمت.

(٧) أي هذه العلة

(٨ - ٩) رواهما مسلم في ابن صياد وقد سبق الكلام عن هذين الحديثين مفصلا وسبب غضبه في «سبب خروجه».

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرجنا حجاجا أو عُمارا ومعنا ابن صائد. قال: فنزلنا منزلا. فتفرق الناس. وبقيت أنا وهو. فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه. قال: وجاء بمتاعه فوصفه مع متاعي. فقلت: إن الحر شديد. فلو وضعته تحت تلك الشجرة. قال، ففعل. قال: فرفعت لنا غنم فانطلق فجاء بعُسّ[1] فقال: اشرب أبا سعيد. فقلت إن الحر شديد واللبن حار. ما بي إلا أن أكره أن أشرب عن يده. أو قال: آخذ عن يده. فقال: أبا سعيد، لقد هممت أن آخذ حبلا فأعلقه بشجرة ثم أختنق مما يقول لي الناس يا أبا سعيد: من خفى عليه حديث رسول الله ﷺ ما خفي عليكم معشر الأنصار. ألست من أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ: هو كافر. وأنا مسلم؟ أو ليس قد قال رسول الله ﷺ: هو عقيم لا يولد له وقد تركت ولدي بالمدينة؟ أو ليس قد قال رسول الله ﷺ: لا يدخل المدينة ولا مكة. وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة؟ قال: أبو سعيد الخدْري: حتى كدت أن أعذره. ثم قال: أما والله إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن. قال: قلت له: تبّا لك سائر اليوم.

وفي لفظ: قال وقيل له: أيسرّك أنك ذاك الرجل؟ قال: فقال: لو عُرض على ما كرهت.[2] وفي لفظ قال: فلبسني.

ويظهر للناظر - من أول وهلة - إلى دفاعه عن نفسه بهذا الأسلوب المنتظم المتئد. القائم على دفع الحجة بالحجة. وتفنيد التهم تهمة تهمة بما يميل القلوب إليه والعقول نحوه. حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه: كدت أن أعذره. أي أبرئه وأقف إلى جانبه أمام الادعاءات الملقاة عليه - أنه بريء براءة الذئب[3].

فإذا ما وصلنا في دفاعه إلى خاتمته التي نهاها بقوله: لو عُرض علي ما كرهت. توقفنا في حكمنا. ونقضنا رأينا الأول واضطربنا في أمره. وتحيرنا

---

(١) قدح كبير.

(٢) أخرجه مسلم في ابن صياد بأنماط مختلفة.

(٣) من دم يوسف.

بشأنه. وأي مخلوق يكون. وفي ذلك يقول ابن مسعود رضي الله عنه: فلبسني...

لذلك بقيت قصته مشكلة. كلما اقتربنا من حلّها وجدنا الطريق مسدودا فلا نهاية نصل إليها.

غير أني ما زلت عند رأيي الذي ذكرته منذ صفحات.
أن ابن صياد ليس هو الدجال الأكبر.
وأن توافق الصفات ليس دليلا قاطعا للثبوت.
وأن حديث تميم الداري يؤيد هذا القول.
وأن قوله: أنه لا يكره أن يكونه. لا يدل على أنه هو.
وأنه في أول حياته كان دجالا من الدجاجلة.
وفي آخر حياته. ربما كان مؤمنا تائبا. وصلى عليه المسلمون.
وأن الرسول ﷺ لم يكن يعلم حقيقة حاله أول الأمر. فامتحنه وسأله.

وأن عمر وابن عمر وجابرا ما حلفوا على أنه هو الدجال. إلا بناء على غالب ظنهم المبني على وجود الشبه بينهما.

وعلى كل حال: فقد شغل ابن صياد أذهان الناس قديما وحديثا. كما شغلها الدجال. وأدخل على قلوبهم الفزع والرعب والإثارة. كما أحدث الدجال.

فإن لم يكن هو - والرأي أنه ليس هو - فلم يقل عنه شأنا وخطرا.

ونعوذ بالله من فتنة الدجال. وفتن الدجاجلة ومن كل ما في الحياة من فتن. وما بعد الموت من فتن.

ظهور المهدي(١)

المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مرّ الأعصار. أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت. يؤيد الدين. ويظهر العدل. ويتبعه المسلمون. ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى المهدي.

---

(١) يراجع تحفة الأحوذي حـ ٦ من ص ٤٨٤. وعون المعبود حـ١١ من ص ٣٦١.

ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة على أثره.

وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال أو يساعده على قتله. ويأتمّ بالمهدي في صلاته.

وخرّج أحاديث المهدي جماعة من الأئمة منهم: أبو داود، الترمذي، ابن ماجة، البزار، الحاكم، الطبراني، أبو يعلى الموصلي.

وأسندوها إلى جماعة من الصحابة. مثل: علي، ابن عباس، ابن عمر، ابن مسعود، أم سلمة، ثوبان، غير هؤلاء.

وإسناد أحاديث هؤلاء بين صحيح وحسن وضعيف.

وقد بالغ المؤرخ ابن خلدون المغربي في تاريخه فضعّف أحاديث المهدي كلها. فلم يصب. بل أخطأ.

وما رُوي من رواية محمد بن المنكدر عن جابر: من كذب بالمهدي فقد كفر. فموضوع. والمتهم فيه أبو بكر الإسكاف.

وربما تمسك المنكرون لشأن المهدي بما روي مرفوعا: لا مهدي إلا عيسى..

وهذا الحديث ضعفه البهيقي والحاكم. وفيه أبان بن صالح وهو متروك الحديث.

وحديث عبد الله بن مسعود: لا ينحط عن ردجة حسن. وله شواهد كثيرة بين حسان وضعاف.

فحديث ابن مسعود مع شواهده وتوابعه: صالح للاحتجاج بلا مرية.

فالقول بخروج الإمام المهدي وظهوره. هو القول الحق والصواب.

وقال القاضي الشوكاني في الفتح الرباني: الذي أمكن الوقوف عليه من الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر خمسون حديثا وثمانية وعشرون أثرا. سردها مع الكلام عليها. ثم قال: وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر لا يخفى على من له فضل اطلاع. اهـ.

المهدي أحد الخلفاء

روى ابو داود في أول كتاب المهدي هذا الحديث:[1].

عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال هذا الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة. فسمعت كلاما من النبي ﷺ لم أفهمه. فقلت لأبي: ما يقول؟ قال: كلهم من قريش.

وفي رواية: لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا.

وجاء في حديث آخر: الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا وهذا مخالف لحديث اثني عشر.

وللجمع بينهما: المراد من حديث (ثلاثون سنة) خلافة النبوة. كما جاء مفسرا بها في بعض الروايات. ولا يشترط هذا في (الاثني عشر).

والحديث قال: بلى. ولم يحصر العدد في اثني عشر. وهذا لا يمنع أن يوجد بعدهم غيرهم.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا)[2] بعد إيراد حديث جابر من رواية الشيخين واللفظ لمسلم:

ومعنى هذا الحديث: البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحا يقيم الحق. ويعدل فيهم. ولا يلزم تواليهم وتتابع أيامهم. بل قد وجد منهم أربعة. نسق واحد. وهم الخلفاء الأربعة. ومنهم عمر بن عبد العزيز. بلا شك عند الأئمة. وبعض بني العباس. ولا تقوم الساعة حتى تكون ولا يتهم لا محالة. والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره أنه يواطىء اسمه اسم النبي ﷺ. واسم أبيه اسم أبيه. فيملأ الأرض. عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما.

---

(١) يراجع عون المعبود جـ١١ ص ٣٦٢ - ٣٦٧.

(٢) المائدة ١٢.

وليس هذا بالمهدي المنتظر الذي يتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامرا. فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية.

وزعمت الشيعة الأمامية أن المهدي المنتظر هو: محمد بن الحسن العسكري وزعموا أنه اختفى خوفا من أعدائه. وسيظهر. ولا امتناع في طول عمره كعيسى والخضر. ويظهر عند فساد الزمان وشدة الحاجة إلى إمام.

وقال: لا شك أن ما زعمت الشيعة الإمامية عقيدة باطلة لا دليل عليه. اهـ.

ذكر ابن كثير[1]: هذه الآية (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) ليبين للمؤمنين كيف أخذ العهود على من كان قبلهم. وذلك لما أمرهم سبحانه بالوفاء بعهده زميثاقه.

لما توجه موسى لقتال الجبابرة أمُر بأن يقيم نقباء (عرفاء) من كل سبط نقيب.

وهكذا لما بايع رسول الله ﷺ الأنصار ليلة العقبة كان فيهم اثنا عشر نقيبا. ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج. وهم الذين ولوا المعاقدة والمبايعة عن قومهم.

سئل ابن مسعود: هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال: نعم. لقد سألنا رسول الله ﷺ؟ فقال: اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل.

قال ابن كثير: الحديث بهذا الطريق غريب. وأصله ثابت في الصحيحين من حيث جابر بن سمرة. المتقدم.

وقال: وفي التوراة: البشارة بإسماعيل عليه السلام وأن الله يقيم من صلبه اثني عشر عظيما. وهم هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر. المذكورون في حديث ابن مسعود وجابر بن سمرة. اهـ.

---

(١) في تفسيره جـ٢ ص ٣٢. والآية من سورة المائدة ١٢.

فمذهب أهل الحق هو:
الخلفاء العادلون اثنا عشر.
لا يلزم تواليهم.
منهم الخلفاء الأربعة، عمر بن عبد العزيز.
منهم المهدي المنتظر.
ليس المهدي هو ما يدعيه الروافض. ولا ما يدعيه الشيعة الأمامية.
لا تقوم الساعة حتى تتم ولاية الاثني عشر.
كلهم من قريش. ولا يلزم أن يكونوا من بني هاشم.

الآراء حول المهدي:

رأى أهل السنة في المهدي يختلف عن رأي الشيعة.
وفي الهند جماعة تسمى الجماعة المهدوية لها رأي ثالث.
وسيأتي تفصيل ذلك.

وهل هو: ابن الحسن أو ابن الحسين[١]؟ خلاف.
ويمكن أن يكون جامعا بين النسبتين. والأظهر أنه من جهة الأب حسني. ومن جهة الأم حسيني.

فلما ظهرت أكثر الأئمة من أولاد الحسين ناسب أن يخبر الحسن بأن أعطى له ولد يكون خاتم الأولياء. كما أن إسحق كان منه أكثر الأنبياء. فأعطى اسماعيل ولدا كان خاتم الأنبياء.

وقيل: لما نزل الحسن عن الخلافة الصورية أعطى ولاية المرتبة القطبية ويكون من جملتها النسبة المهدوية. اهـ.

أقول: هذه الأقوال قد تتلاقى مع مذهب أهل السنة.
أما مذهب الشيعة فالمهدي حسيني.

---

(١) يراجع مرقاة المفاتيح حـ ٥ ص ١٧٩.

بعض الآثار في المهدي:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا من أمتي أو من أهل بيتي. يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا[1].

وفي رواية: لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العربَ رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي[2].

وفي أخرى: يلي رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي[3]

وعن علي كرم الله وجهه. قال ﷺ: لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا[4].

وعن أم مسلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: المهدي من عترتي من ولد فاطمة[5].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) رواه أبو داود. قال في عون المعبود حـ ١١ ص ٣٧٢: سكت عنه أبو داود. وقال المنذري: أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح.. قال في عون المعبود: الحاصل أن عاصم ثقة على رأي أحمد وأبي زرعه. وحسن الحديث صالح الاحتجاج على رأي غيرهما. ولم يكن فيه إلا سوء الحفظ. فرّد الحديث بعاصم ليس من دأب المصنفين. على أن الحديث جاء من غير طريق عاصم أيضاً فارتفعت عن عاصم مظنة الوهم. والله أعلم.

(٢ - ٣) رواهما الترمذي. وقال عنهما: حسن صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود. قال في عون المعبود حـ١١ ص ٣٧٣: الحديث سنده حسن قوي ولا يلتفت إلى قول ابن يونس وأبي بكر ابن عياش والجوزجاني في تضعيف فطر بن خليفة الكوفي. فقولهم مردود. فقد وثقه أحمد ويحي بن سعيد القطان. ويحي بن معن والنسائي والعجلي وابن سعد والساجي وقال أبو حاتم صالح الحديث. وأخرج له البخاري.

(٥) بسط المنندي الكلام في إسناده. إلى أن قال: الظاهر أن زياد بن بيان وهم في رفعه. وأنه من كلام سعيد بن المسيب. والحديث رواه أبو داود. انظر عون المعبود حـ١١ ص ٣٧٤ وعترة الرجل أخص أقاربه. وعترة النبي بنو عبد المطلب. والمشهور: من حرمت عليهم الزكاة.

المهدي مني. أجلى[١] الجبهة. أقنى[٢] الأنف. يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما. ويملك سبع سنين[٣].

وفي رواية: قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث فسألنا نبي الله ﷺ. فقال إن في أمتي المهدي يخرج خمسا أو سبعا أو تسعا. قلنا: وما ذاك؟ قال: سنين. فيجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي أعطني أعطني. قال: فيحثى له في ثوبه ما استطاع أن يحمله[٤].

وقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه: ونظر إلى ابنه الحسن. إن ابني هذا سيد كما سماه رسول الله ﷺ وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخُلق ولا يشبهه في الخَلق. ثم ذكر: يملأ الأرض عدلا [٥].

وعن أم سلمة رضي الله عنها: قال النبي ﷺ: يكون اختلاف عند موت خليفة [٦] فيخرج رجل من أهل المدينة[٧] هاربا إلى مكة[٨] فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره[٩] فيبايعونه بين الركن والمقام[١٠] ويبعث إليه البعث من الشام[١١] فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة. فإذا رأى الناس

---

(١) واسع الجبهة قد انحسر الشعر عن مقدم رأسه.

(٢) طوله ودقة أرنبته.

(٣) أخرجه أبو داود. قال المنذري: في إسناده عمران القطان. استشهد به البخاري. ووثقه عفان بن مسلم. وضعفه يحي بن معين والنسائي. وفي الخلاصة: وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث. راجع تحفة الأحوذي حـ٦ ص ٤٨٦.

(٤) رواه الترمذي. وقال: حسن. وفي إسناده زيد العِمِّيّ وهو ضعيف وأخرجه أحمد أيضا. انظر تحفة الأحوذي حـ ٦ ص ٤٨٨. والشك في العدد من الراوي.

(٥) أخرجه أبو داود. قال المنذري: هو منقطع. والحديث صريح في أن المهدي من أولاد الحسن. ولا مانع أن يكون له انتساب إلى الحسين من جهة الأم. راجع تحفة الأحوذي حـ٥ ص ٤٨٦.

(٦) أي حاكم.

(٧) المدينة المنورة. والمراد به المهدي.

(٨) طالبا للأمان.

(٩) ينصبونه للإمارة. وهو غير راغب.

(١٠) أي وزمزم أيضا. فهذا المثلث هو المسمى بالحطيم.

(١١) أي يأتي جيش من أهل الشام لقتاله.

ذلك[1] أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق[2] فيبايعونه. ثم ينشأ رجل من قريش[3] أخواله كلب. فيبعث إليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب. ويعمل في الناس بسنة نبيهم. ويلقى الإسلام بجرانه[4] في الأرض. فيلبث سبع سنين. ثم يتوفى. ويصلي عليه المسلمون[5].

وعن أبي سعيد الخدري قال: ذكر رسول الله ﷺ بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتي وأهل بيتي. فيملأ به الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا. يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض. لا تدع السماء من قطرها شيئا إلا صبته مدرارا. ولا تدع الأرض من نباتها شيئا إلا أخرجته حتى يتمنى الأحياء الأموات[6] يعيش في ذلك سبع سنين. أو ثمان سنين أو تسع سنين[7 - 8].

وعن علي كرم الله وجهه: قال ﷺ: يخرج رجل من وراء النهر[9] يقال له الحرث حرات[10] على مقدمته رجل. يقال له منصور[11] يوطن أو يمكن[12] لآل

---

(١) ما ذكر من خرق العادة. وجعل علامة للمهدي.
(٢) الأبدال: الصالحون: الأولياء - والعصائب: الخيار. وسيأتي ذكرهما مفصلا في ص ١١٥
(٣) ينازع المهدي في أمره. فينصر الله المهدي.
(٤) يأتي الإسلام بأكمله ويستقر. كما تلقى الإبل بجرانها أي بمقدم عنقها.
(٥) الحديث أخرجه أبو داود. وقال في عون المعبود حـ١١ ص ٣٨٠: فيه رجل لم يسم. وسُمي في الحديث الذي بعده. فبيّن المبهم في الإسناد الأول. ورجاله رجال الصحيحين لا مطعن فيهم ولا مغمز. وفي إسناده قتادة. وقتادة مدلس. ولكن سكت عنه أبو داود والمنذري وابن القيم. فعُلم أن عندهم علما بثبوت سماع قتادة عن أبي الخليل.
(٦) أي يتمنى الأحياء أن يعيش الأموات ليروا هذا الخير.
(٧) يعيش المهدي في ذلك سبع سنين. والشك من الراوي.
(٨) الحديث أخرجه الحاكم. ذكره القاري في مرقاة المفاتيح حـ٥ ص ١٨٤.
(٩) رجل صالح. يخرج مما وراء النهر من البلدان كبخاري وسمرقند. ونحوهما.
(١٠) اسمه الحرث. وصفته حراث أي زرّاع.
(١١) على مقدمة جيشه رجل اسمه منصور. وقيل: هو الخضر.
(١٢) يقوي ويساعد بعسكره وسلاحه. والشك من الراوي.

محمد[1] كما مكنت قريش لرسول الله ﷺ[2] وجب على كل مؤمن نصره[3] أو قال: إجابته[4].

وعن حذيفة مرفوعا:

المهدي رجل من ولدي. وجهه كالكوكب الدري[5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوما لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي[6].

وعن علي كرم الله وجهه. عن النبي ﷺ قال: المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة[7].

مما تقدم من الأحاديث والآثار:

ثبت عند أهل السنة: خروج المهدي آخر الزمان. وأنه من ولد الحسن. ويوافق اسمه واسم أبيه اسم رسول الله ﷺ خلافا للشيعة في قولهم إنه محمد بن الحسن. ومن نسل الحسين..

وقد صرحت بعض الأحاديث بلفظ المهدي. وبعضها لم يصرح. فيحمل هذا على ذاك. ولا وجه لردّ هذه الأحاديث وغيرها[8].

وأتاه أبدال الشام[9] وعصائب أهل العراق: معنى الأبدال والعصائب نوضحه فيما يلي:[10].

---

(١) لذرية محمد عموما وللمهدي خصوصا. أو المراد: لمحمد المهدي. وآل: مقحم.

(٢) من آمن منهم. ودخل في التمكين أبو طالب. أو المراد: كما مكنت آخر الأمر.

(٣) نصر الحارث. أو نصر المنصور. أو نصر المذكور منهما. لكونهما من أنصار المهدي.

(٤) أخرجه أبو داود. وقال المنذري: هذا منقطع. قال أبو داود: هلال بن عمرو غير مشهور عن علي. يراجع عون المعبود حـ١١ ص ٣٨٤.

(٥) رواه الروياني. ذكره القاري في مرقاة المفاتيح حـ٥ ص ١٧٩.

(٦) رواه الترمذي. وقال: حسن صحيح. راجع تحفة الأحوذي حـ٦ ص ٤٨٧ قال أخرجه ابن ماجة.

(٧) للقزويني: ذكره جمع الفوائد رقم ٩٩١٧ وقال في أقرب الموارد حـ٢ ص ٧٣٤ رواه أيضا أحمد... وفيه يس العجلي. قال في الميزان عن البخاري: فيه نظر. كذا في الفيض ٢٧٨/٦.

(٨) سيأتي قريبا بيان مذهب الشيعة. إن شاء الله.

(٩) تبيان ما ذكر في ص ١١٣

(١٠) يراجع مرقاة المفاتيح حـ٥ ص ١٨١

الأبدال[1] الأولياء.. قال الجوهري: الأبدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم إذا مات واحد أبدل اللهِ مكانه بآخر.

وقيل سموا أبدالا لأنهم قد يرتحلون إلى مكان ويقيمون في مكانهم الأول شبحا آخر شبيها بشبحهم الأصلي بدلا عنه.

وفي القاموس: الأبدال: قوم بهم يقيم الله الأرض. وهم سبعون أربعون بالشام وثلاثون في غيرها. لا يريدون إلا بإرادة الحق أبدا إلى الوفاة. وذنوبهم هي أن يشركوا إرادة الحق بإرادتهم سهوا. فيدركهم الله برحمته باليقظة. وفي هذا المعنى يقول ابن الفارض:

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهوا حكمت بردّتي

والعصائب: الخيار.

وروي عن علي كرم الله وجهه: الأبدال بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق.

وذكر أبو نعيم: قال ﷺ: خيار أمتي في كل قرن خمسمائة. والأبدال أربعون. فلا الخمسمائة ينقصون. ولا الأربعون. كلما مات رجل أبدل الله من الخمسمائة مكانه وأدخل في الأربعين.

وفي رواية: فبهم يحيى ويميت ويمطر وينمت ويدفع البلاء قيل لعبد الله بن مسعود: كيف بهم يحيي ويميت؟ قال لأنهم يسألون الله عز وجل إكثار الأمم فيكثرون. ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون. ويسألون فتنبت لهم الأرض. ويدعون فيدفع بهم أنواع البلاء.

وعند الصوفية:

القطب: ويقال له: **الغوث**: هو الواحد الذي هو محل نظر الله تعالى من العالم في كل زمان نظرا خاصا. ويكون واسطة في إفاضة الفيض بين الله والعباد.

---

(١) سيأتي في ص ١١٧ زيادة بيان للأبدال من عون المعبود حـ١ ص ٣٧٧

الأوتاد: أربعة. منازلهم على منازل الأركان من العالم. الشمال والجنوب والشرق والغرب. يأخذون الفيض من قطب الأقطاب الغوث الأعظم. فهم بمنزلة الوزراء تحت حكم الوزير الأعظم فإذا مات القطب الأفخم أبدل من هذه الأربعة أحد بدله.

الأبدال: قوم صالحون لا تخلو الدنيا منهم. وهم سبعون أو أربعون.
النقباء: الذين استخرجوا خبايا النفوس. وهم خمسمائة أو ثلثمائة.

النجباء: المشتغلون بحمل أثقال الخلق. وهم أربعون.

أخرج ابن عساكر عن ابن مسعود مرفوعا: إن لله تعالى ثلثمائة نفس قلوبهم على قلب آدم. وله أربعون قلوبهم على قلب موسى. وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم. وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل. وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل. وله واحد قلبه على قلب إسرافيل.. وكلما مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة... وكلما مات واحد من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة.. وكلما مات من الخمسة واحد أبدل الله مكانه من السبعة.. وكلما مات واحد من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين.. وكلما مات واحد من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلثمائة.. وكلما مات واحد من الثلثمائة أبدل الله مكانه من العامة.. بهم يدفع الله الهم عن هذه الأمة.

وكان القطب في زمان النبي ﷺ: عصام. عم أويس القرني. كان يقول: إني لأجد نفس الرحمن من جهة اليمن وهو مظهر خاص للتجلى الرحماني. كما كان النبي ﷺ مظهرا خاصا للتجلي الإلّهي. المخصوص باسم الذات وهو الله.

وكون القطب هو عصام. وهو غير معروف أنه من الصحابة أو التابعين بخلاف أويس القرني فإنه مشهور. وورد أنه سيد التابعين.. فهذا إشكال.

وكيف يكون له القطبية الكبرى مع وجود الخلفاء الأربعة. الذين هم أفضل الناس بعد الأنبياء؟

قالوا: لقد سترت أحوال القطب عن الخاصة والعامة غيرة. من الحق عليه.

ولقد ذكرت كل هذا. لما سيترتب عليه - فيما سيأتي قريبا - أن المهدي المختفي تدرج في هذه الدوائر حتى جلس على الأريكة القطبية.

وليس لهذه الأقوال من سند. والظاهر أنهم يدعون هذا من طريق الكشف. ولا يخفى أن الاعتقاد لا يقوم إلا على الأدلة اليقينية.

بعض الآثار الواردة في الأبدال[١]

عن عبادة رضي الله عنه. عن النبي ﷺ قال: الأبدال في هذه الأمة ثلاثون رجلا. قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن. كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا[٢].

وعنه رضي الله عنه. عن النبي ﷺ قال: الأبدال في أمتي ثلاثون. بهم تقوم الأرض. وبهم تمطرون. وبهم تنصرون[٣].

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه: الأبدال في أهل الشام وبهم ينصرون. وبهم يرزقون[٤].

وعن علي كرم الله وجهه: الأبدال بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا. يسقي بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء. ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب[٥].

وزاد في رواية: لم يسبقوا الناس بكثرة صلاة ولا صوم ولا تسبيح. ولكن بحسن الخلق. وصدق الورع. وحسن النية. وسلامة الصدر. أولئك حزب الله[٦].

---

(١) ذكره عون المعبود حـ١١ ص ٣٧٧ ثم قال: تتميما للفائدة وما أورده عون المعبود هنا ليس في الكتب الستة. ولم يرد ذكر الأبدال في الكتب الستة إلا في حديث أم سلمة الذي أخرجه أبو داود. وقد أشرت إلى ذلك في الهامش قبل صفحتين.

(٢) رواه أحمد. وأورده السيوطي في الجامع الصغير. وقال العزيزي والمناوى: إسناد صحيح.

(٣) رواه الطبراني. وأورده السيوطي في الجامع الصغير. وقال العزيزي المناوى: إسناد صحيح.

(٤) رواه الطبراني. وأورده السيوطي في الجامع الصغير. وقال العزيزي المناوى: إسناد حسن.

(٥) رواه أحمد. وأورده السيوطي في الجامع الصغير. وقال العزيزي المناوى: إسناد حسن

(٦) الزيادة في رواية الحكيم. قال المناوى.

قال المناوى: لا ينافي خبر الأربعين خبر الثلاثين. لأن الجملة أربعون رجلا. ثلاثون منهم على قلب ابراهيم. وعشرة ليسوا كذلك.

وعن ابن عمر مرفوعا: خيار أمتي في كل قرن خمسمائة. والأبدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون. كلما مات رجل أبدل الله عز وجل من الخمسمائة مكانه وادخل في الأربعين. وكأنهم قالوا يا رسول الله: دلّنا على أعمالهم. قال: يعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويتواسون فيما آتاهم الله.[1]

مهديون كثير:

ادعاء المهدية ليس بأكبر من ادعاء النبوة. فكما ادعى النبوة قوم. وادعى الألوهية قوم. فقد ادعى المهدية قوم أيضا.

يقول القاري[2]: اعلم أن كثيرا من الناس ادعى كل منهم أنه المهدي فمنهم من أراد المعنى اللغوي فلا إشكال.

ومنهم من ادعى باطلا وزورا. واجتمع عليه جمع من الأوباش فقُتل واستراح منه العباد.اهـ.

أقول: وحادثة مطلع هذا العام الهجري في البيت الحرام. من هذا النوع.

وآية كذب هؤلاء: أنهم قُتلوا. ولو كانوا كما يدّعون لانتصروا وملأوا الأرض عدلاً.

وفي الهند:

ظهر في بلاد الهند جماعة تسمى المهدوية. لهم رياضات عملية. وكشوفات

---

(١) ذكره أبو نعيم الأصفهاني في الحلية.. أورده القاري في المرقاة حـ٥ ص ١٨١.

(٢) في مرقاة المفاتيح حـ٥ ص ١٨٣.

سفلية. وجهالات ظاهرية. من جملتها: الاعتقاد بأن المهدي الموعود هو شيخهم الذي ظهر فيهم ثم مات ودفن في بعض بلاد خراسان. وليس يظهر غيره مهدي في الوجود. ومخالف ذلك كافر - في اعتقادهم -

وقد قال الشيخ العارف بالله الولي علي المتقي في رسالته التي جمعت علامات المهدي وانتخبها من رسائل السيوطي: أنه استفتى علماء عصره في مكة من المذاهب الأربعة. فأفتوا بوجوب قتلهم. على من يقدر من ولاة الأمر[1].

أقول: متى يتعقل المسلمون؟ ويتفقون؟ ويعتنقون عقيدة واحدة ولا يختلفون؟

مذهب الشيعة:

الشيعة الإمامية يقولون: إن المهدي الموعود هو: محمد بن الحسن العسكري. وإنه لم يمت. بل هو مختف عن أعين الناس من العوام والأعيان. وأنه إمام الزمان. وسيظهر في وقته ويحكم في دولته.

ولتوضيح عقيدتهم نقول[2]:

الأئمة الذين لهم صفة الإمامة الحقة «١٢» إماما:

١ - أبو الحسن: علي بن أبي طالب. مولود سنة ٢٣ قبل الهجرة. وقتل سنة ٤٠هـ.

٢ - أبو محمد: الحسن بن علي. مولود سنة ٢ هـ مات سنة ٥٠هـ.

٣ - أبو عبد الله: الحسين بن علي. مولود سنة ٣ هـ مات سنة ٦١هـ.

٤ - أبو محمد: علي بن الحسين/ زين العابدين. مولود سنة ٣٨هـ. مات سنة ٩٥هـ.

٥ - أبو جعفر: محمد بن علي/الباقر. مولود سنة ٥٧هـ. مات سنة ١١٤هـ.

---

(١) يراجع مرقاة المفاتيح جـ٥ ص ١٨٣.

(٢) يراجع عقائد الإمامية ص ٦٢ وما بعدها.

٦ - أبو عبد الله: جعفر بن محمد/الصادق. مولود سنة ٨٣هـ. مات سنة ١٤٨هـ.

٧ - أبو إبراهيم: موسى بن جعفر/ الكاظم. مولود سنة ١٢٨هـ. مات سنة ١٨٣هـ.

٨ - أبو الحسن: علي بن موسى/ الرضا. مولود سنة ١٤٨هـ. مات سنة ٢٠٣هـ.

٩ - أبو جعفر: محمد بن علي/ الجواد. مولود سنة ١٩٥هـ. مات سنة ٢٢٠هـ.

١٠ - أبو الحسن: علي بن محمد/الهادي. مولود سنة ٢١٢هـ. مات سنة ٢٥٤هـ.

١١ - أبو محمد: الحسن بن علي/ العسكري. مولود سنة ٢٣٢هـ. مات سنة ٢٦٠هـ.

١٢ - أبو القاسم: محمد بن الحسن/ المهدي. مولود سنة ٢٥٦هـ. - غائب منتظر. عجل الله فرجه. وسهل مخرجه. ليملأ الأرض عدلا وقسطا بعد ما ملئت ظلما وجورا.

ويتابع صاحب/ عقائد الإمامية قوله:

إن البشارة بظهور المهدي.. ثابتة عن النبي ﷺ بالتواتر. ويقول: لا يمكن أن يعود للدين قوته إلا إذا ظهر على رأسه مصلح عظيم يرد عن الدين تحريف المبطلين بعناية ربانية..

وطبيعة الوضع الفاسد في البشر. تقتضي انتظار هذا المصلح (المهدي) لإنقاذ العالم.

ولأجل ذلك: آمنتْ بهذا الانتظار جميعُ الفرق المسلمة. بل الأمم من غير المسلمين.

وهذا المصلح المهدي هو شخص معين معروف ولد سنة ٢٥٦هـ ولا يزال حيا. هو ابن الحسن العسكري. واسمه محمد.

وذلك بما ثبت عن النبي ﷺ وآل البيت من الوعد به. وما تواتر عندنا من ولادته واحتجابه.

ولا يجوز أن تنقطع الإمامة أو تتحول في عصر من العصور وإن كان الإمام مخفيا ليظهر في اليوم الموعود به من الله تعالى الذي هو سر من الأسرار الإلَهية.

ولا يخلو من أن تكون حياته وبقاؤه هذه المدة الطويلة معجزة جعلها الله له. وليست هذه المعجزة بأكبر من معجزة أن يكون إماما وهو ابن خمس سنين يوم رحل والده إلى الرفيق الأعلى.

وطول الحياة أكثر من العمر الطبيعي لا يمنع منه فن الطب وقد وقع فعلا لنوح وعيسى.

وصرحوا بأن (محمد بن الحسن) المهدي. إذا اختفى دخل في دائرة الأبدال أولا حتى يصير سيد الأبدال.

ثم دخل دائرة الأبطال (دائرة ٤٠) حتى صار سيد الأبطال ثم دخل دائرة السياح (وهم السبعة) حتى صار سيد السياح ثم دخل دائرة الأوتاد (وهم الخمسة) حتى صار سيد الأوتاد ثم دخل دائرة الأفذاذ (وهم الثلاثة) حتى صار سيد الأفذاذ ثم جلس على الأريكة القطبية.

بعد أن توفى الله (علي بن الحسن البغدادى) القطب.

وليس لأقوالهم من سند إلا ادعاء الكشف. والكشف لا يقوم عليه اعتقاد. كما سبقت الإشارة إليه.

كما أنه لا يخفى أن ظاهر الأحاديث التي ذكرتها وما لم أذكرها. مما جمعه السيوطي في أحوال المهدي. وما ورد عن رسول الله ﷺ من قوله عن المهدي: يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي.

كل ذلك يرد على الشيعة مذهبهم. فالمهدي عندهم (محمد بن الحسن) وليس (محمد بن عبد الله).

وكل ما قاله الشيعة مردود عند أهل السنة والجماعة. والأدلة مستوفاة في كتب الكلام.

رأيي في المهدي:

أرى كثيرا من المسلمين. ومن علمائهم أيضا. ينظرون إلى ظهور المهدي نظرة متحفظة. مرجعها إلى أن الأدلة عليه غير كافية. وأن ما ورد فيه من الأحاديث لا يكفي لإثبات عقيدة. حيث لم يرد له ذكر في صحيحي البخاري ومسلم. وقد اعتبرهما المسلمون المرجع الأول بعد كتاب الله تعالى.

كما أن انفراد أبي داود والترمذي - تقريبا - برواية أحاديث المهدي: شيء يلفت النظر فعلا.

وما قيل في تخريج هذه الأحاديث. وفي بعض رواتها. شيء أيضا يدعو إلى التوقف.

فهم إذن معذورون. أو لعلهم على حق. إذا رأيناهم لا يسلّمون بهذه العقيدة في بادىء الأمر.

يضاف إلى هذا: أن المهدي عند أهل السنة مخالف للمهدي عند الشيعة الإمامية. والروافض. وفي الهند. وفي مختلف الأزمان. ومختلف البلاد. فليس هناك اتفاق عليه.

وتحفّظ المسلمين هذا: شيء يدعو للاطمئنان. فلن تزال هذه الأمة بخير إلى يوم القيامة. والحمد لله. لأن هذا إنما يدل على عناية المسلمين بدينهم وحرصهم عليه. وأنهم لا يدخلون فيه إلا ما يقتلونه بحثا ودليلا. ويصلون فيه إلى رأي قاطع وحجة ساطعة. فإن لم يصلوا إلى ما يشفي صدورهم قالوا: لا ندري. أو سكتوا. أو بسطوا الأمر على وجهيه أو وجوهه. وتركوا لمن بعدهم مهمة استكمال البحث والتنقيب لعلهم يهتدون.

وفي مطلع هذا العام الهجري ١٣٨٠ تحرك عند المسلمين دافع الفهم والعلم. للوصول إلى جديد مفيد. أو الكشف عن مجهول في هذا الأمر. إثر ما أذيع في الحرم المكي عن ظهور مهدي.

فتحركتُ مع من تحركوا في هذا المجال

وبدأت الخيط من أوله. واستقصيت أمور الساعة. وعلاماتها المبشرة بقربها. أو القريبة منها. والموافقة لها.

حتى وصلت إلى المهدي. أعني الحديث عن المهدي. ودرست الأحاديث التي توصلت إليها عنه. وما استطعت الوصول إليه من أقوال العلماء والكتاب.

فوجدتها ذات طابع مهزوز. لا تعطي فكرة قاطعة. ولا تشفي غلة. والسبب هو ما قدمته سابقا.

ولكن: هل أطوي صفحة الموضوع كما طواها السابقون؟ أو أكتفي بالقول بأن هذا الحديث فيه راو مجهول أو سيء الحفظ أو... مما سبق أن قالوه؟

هذا لا يكفيني. بل ولا يفيدني. ولا يفيد قارئا أو طالبا.

عليّ أن أقول ما أرى. والله الموفق للصواب. فإن أصبتُ فالحمد لله. وإلا فالأمر لله.

أقول:

مع احترامي وتقديري لكل من الإمامين البخاري ومسلم: لا أرى لزاما علينا نحن المسلمين أن نربط ديننا بهما. فلنفرض أنهما لم يكونا. فهل تشل حركتنا. وتتوقف دورتنا؟ لا. فالأمة بخير والحمد لله. والذين جاءوا بعد البخاري ومسلم استدركوا عليهما. واستكملوا جهدهما. ووزنوا عملهما. وكشفوا بعض الخلاف في صحيحيهما. وما زال المحدّثون في تقدم علمي وبحث وتحقيق ودراسة وجمع ومقارنة وتمحيص. حتى يغمر الضوء كل مجهول. ويظهر كل خفي.

ولماذا نرد حديثنا لمجرد أن قيل في بعض رواته: إنه ليّن أو ضعيف. أو منقطع. أو مرسل. أو..؟

نعم. هذه علل. تثير الشك والتساؤل. وتدفع إلى زيادة البحث والتعمق.

ولكن: كما أعتقد - إن بعض علل الحديث لا تُلزم بالرد لهذا الحديث

فكثيرا ما نجد في بعض الطرق ضعفا . وفي بعضها قوة . فهو صحيح من طريق . حسن أو ضعيف من أخرى . ومعنى هذا أن الراوي الذي حُكم عليه مثلا بأنه ينسى . تبين أنه في هذه الواقعة لم ينس . فجاءت روايته مؤيَّدة بما جاء عن غيره .

وأحاديث المهدي - في نظري - من هذا النوع - ولو بعضها . رغم أن بعض المسلمين - كابن خلدون - قد بالغ وضعّفها كلها . وردّها وحكم عليها حكما قاسيا . واتهم كل هؤلاء الرواة ومن رووْا عنهم بما لا يليق أن يُظن فيهم .

إن المشكلة ليست مشكلة حديث أو حديثين . أو راو أو راويين إنها مجموعة من الأحاديث والآثار تبلغ الثمانين تقريبا . اجتمع على تناقلها مئات الرواة . وأكثر من صاحب كتاب صحيح .

فلماذا نردّ كل هذه الكمية ؟ أكلها فاسدة ؟ لو صح هذا الحكم لانهار الدين والعياذ بالله . نتيجة تطرق الشك والظن الفاسد إلى ما عداها من سنة رسول الله ﷺ .

ثم إني لا أجد خلافا حول ظهور المهدي . أو حول حاجة العالَم إليه . وإنما الخلاف حول مَن هو ؟ حسنيّ أو حسيني ؟ سيكون في آخر الزمان أو موجود الآن خفي وسيظهر ؟ ظهر أو سيظهر ؟ - ولا عبرة بالمدّعين الكاذبين - فليس لهم اعتبار .

ثم إني لم أجد مناقشة موضوعية في متن الأحاديث . والذي أجده إنما هو مناقشة وخلاف حول السند واتصاله أو عدم اتصاله ودرجة رواته . ومن خرّجوه . ومن قالوا فيه .

ولعل السبب في وجود هذا الشك في نفوس الأمة المسلمة يرجع إلى ما زرعه اليهود في رؤوس بعض جهلة الشيعة والروافض . مما يقصدون به الإفساد والتشويه والتشكيك والاختلاف بين المسلمين . فنما فيهم وفرّقهم .

وإذا نظرنا إلى ظهور المهدي نظرة مجردة . فإننا لا نجد حرجا من قبولها وتصديقها . أو على الأقل . عدم رفضها .

فإذا ما تأيد ذلك بالأدلة الكثيرة والأحاديث المتعددة. ورواتها مسلمون مؤتمنون. والكتب التي نقلتها إلينا كتب قيمة. والترمذي من رجال التخريج والحكم.

بالإضافة إلى أن أحاديث المهدي لها ما يصح أن يكون سندا لها في البخاري ومسلم.

كحديث جابر في مسلم: الذي فيه: فيقول أميرهم (أي لعيسى) تعال صل لنا[1]..

وحديث أبي هريرة في البخاري. وفيه: كيف بكم إذا نزل فيكم المسيح ابن مريم وإمامكم منكم.[2].

فلا مانع أن يكون هذا الأمير وهذا الإمام هو المهدي.

يضاف إلى هذا: أن كثيرا من السلف رضي الله عنهم. لم يعارضوا هذا القول. بل جاءت شروحهم وتقريراتهم موافقة لإثبات هذه العقيدة عند المسلمين.

على أن يكون ثبوتها على مستوى فهم أهل السنة. في حدود ما وردت به السنة: يملأ الأرض عدلا. بدون زيادة أو مبالغة.

فلا التفات إلى ما يقال عن اختفائه ليظهر بعد حين[3].

فلماذا اختفى؟ هل اختفى كما يقولون هروبا من ظلم الطغاة؟ إن كان هذا هو السبب: فالذي يهرب من الطغاة لن يظهر في عصر الظلم والجور والطغيان.

واستدلالهم على إمكان ذلك باستمرارية حياة عيسى والخضر. استدلال لا ملجىء له. وغير مسلّم كذلك. أما إمكان ذلك: فالله على كل شيء قدير فلا ملجىء للاستدلال. وأما الاستدلال بحياة عيسى. فحياة عيسى عليه السلام لم يتفق عليها جميع المسلمين. فلا تصلح للاستدلال. فمن المفسرين من قال إنه مات. ثم ينزل. ثم يموت. ولو أنه رأى مرجوح[4].

(١-٢) سيأتي شرح الحديثين عند الكلام عن نزول عيسى عليه السلام.

(٣) كما تقول الشيعة. (٤) سيأتي في الكلام عن نزول عيسى.

والاستدلال بحياة الخضر. غير مسلّم لهم. لأن الخضر غير معروف جزما بهذا الاسم. وغير مسلّم وجوده الآن. ولا يُعرف أين يكون ومتى يظهر ولماذا اختفى؟

فكيف نبني عقيدة ظهور مهدي بعد اختفاء يطول أكثر من ألف عام. إن لم يكن آلافا. على أمر لم يثبت بدليل عقلي أو شرعي.

والشيعة إنما يبنون كثيرا من أحكامهم على كشفيات. حسب ادعائهم - إن صحت عندهم فلا تصح عند من لا يراها ولا يحسها.

ولا التفات إلى ما يدّعيه مهدويون كذابون كثيرون. لمجرد خزعبلات وجهالات.

فالإسلام والعقيدة، ليست فوضى. كما أنها ليست جمودا.

يُمكن أن نُعمل هذه الأحاديث التي وردت في ظهور المهدي. فنقول: سيظهر. في آخر الزمان. يملأ الأرض قسطا وعدلا. وهو من آل بيت النبي ﷺ. اسمه كاسمه. واسم أبيه كاسم أبيه. يؤيده الله وينصره على أعداء الإسلام. يعيش المسلمون في عهده في أمان وسعة من الرزق.

ولا مانع من أن نزول عيسى عليه السلام يكون في عهده. ويؤيده ويصلي وراءه:

والأحاديث الواردة في هذا الباب نقبلها في جملتها. وإن كان فيها مقال ومقال. فما قيل في بعضها لا يصح أن يكون سيبا لرفضها كلها.

ونستبعد من العقول دعوى الشيعة وغيرهم ممن يرى غير ذلك. فلا دليل لهم الا اقتناعهم بما يقولون. وتعصبهم لطوائفهم. وإعراضهم عن الحق. فأفكارهم دائما غريبة وتفسيراتهم مجنونة.

وقد زرعوا في جسم الإسلام الفتن والأحقاد. فأثمرت بعد عمر رضي الله عنه.

والله أعلم..

نزول عيسى بن مريم

من المتفق عليه والمسلّم به عند العلماء. أن عيسى بن مريم عليه السلام سينزل في الأرض آخر الزمان. ويقتل الدجال بحربته. ولا خلاف في ذلك. والأدلة كثيرة وصحيحة وصريحة.

أما مدة لبثه. وعمره حين رفعه أو موته. وزواجه وحجه وعمرته. ومكان دفنه. وصلاته إماما أو مأموما. فهذه أمور ربما لم تكن الأدلة عليها فاصلة للخلاف القائم حولها.

وهي أمور جانبية. لا يضيرنا الاختلاف فيها بشيء. ما دام الاتفاق قائما على الأصل. وهو المقصود.

نعم: سينزل عيسى عليه السلام. دون غيره من الأنبياء والرسل عليهم السلام. فيقر الإسلام ويجدده. ويكسر الصليب. ويكون مع نزوله خروجُ الدجال. فيقتله. وتخرج يأجوج ومأجوج. فيهلكهم الله تعالى بدعائه عليه السلام عليهم.

الحكمة في نزول عيسى دون غيره:

قال العلماء[1] الحكمة هي: الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه فبيّن الله تعالى كذبهم. وأنه لم يُقتل ولم يُصلب. ولكنه رُفع وسينزل وسيقتلهم.

أو: يكون نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض. إذ ليس لمخلوق من التراب أن يدفن في غيرها.

وقيل: إنه لما رأى من صفة محمد ﷺ وأمته دعا الله أن يجعله منهم. فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان. مجددا لأمر الإسلام.

والأول: أوجه. اهـ.

---

(١) يراجع فتح الباري حـ ٦ ص ٤٩٣.

القرآن الكريم ونزول عيسى:

نذكر هنا آيتين كريمتين. قال المفسرون إنهما نزلتا بشأن نزول عيسى عليه السلام.

قال الله تعالى: ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدّون... إلى... وإنه لعِلْم للساعة. وفي قراءة: لعَلَم للساعة[1] فالمفسرون يرجحون أن المراد بالضمير في قوله: وإنه لعلم للساعة، هو عيسى عليه السلام. فإن السياق في ذكره. وإنه أمارة ودليل على وقوع الساعة. قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم[2] وذكروا لذلك شواهد من القرآن الكريم والسنة الشريفة. أما الأدلة من السنة فسنذكر بعضها قريبا. وأما من القرآن الكريم. فهذه الآية:

قال تعالى: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا[3].

فقد قال المفسرون في معنى هذه الآية كلاما كثيرا وآراء مختلفة. وانتهوا إلى تضعيف كل رأي إلا هذا الرأي وهو: أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال.

وننقل فيما يلي ملخصا لما قاله ابن كثير[4]:

قال ابن جرير: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك

فقال بعضهم: يعني قبل موت عيسى. أي أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة. وهي ملة الإسلام. فعن ابن عباس في تفسير الآية: قال: قبل موت عيسى بن مريم عليه السلام.. وقال أبو مالك: ذلك عند نزول عيسى. وقبل موت عيسى بن مريم لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به. وعن الحسن: والله إنه لحيّ الآن عند الله. ولكن إذا نزل آمنوا به

---

(١) الزخرف ٥٧ - ٦١.

(٢) تفسير ابن كثير حـ١ ص ٥٨٣.

(٣) سورة النساء ١٥٩.

(٤) تفسير ابن كثير حـ١ ص ٥٧٦ وما بعدها.

أجمعون. إن الله رفع إليه عيسى وهو باعثه قبل يوم القيامة مقاما يؤمن به البرُّ والفاجر.

قال ابن جرير: وهذا أولى الأقوال. وهو: أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام.

ووجه ترجيحه: أن المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه. وتسليم من سلّم لهم من النصارى الجهلة. فأخبر الله تعالى أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شُبِّه لهم. فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك. ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حي. وإنه سينزل قبل يوم القيامة. كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي سنورد بعضها إن شاء الله اهـ.

فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم. قبل موته أي موت عيسى عليه السلام الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب. وسياق الآيات دليل على ذلك. فقد قال تعالى (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم) إلى أن قال (وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه)(١) ثم ذكر تعالى هذه الآية (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمن به قبل موته)(٢).

وقال آخرون: الضمير الأول لعيسى والثاني للكتابي.

فالمعنى عليه: إلا ليؤمنن بعيسى قبل أن يموت هذا الكتابي إذا عاين علم الحق من الباطل لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه. وروى عن ابن عباس ما يصح أن يؤيد هذا المعنى. قال: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى. وعن مجاهد: كل صاحب كتاب يؤمن بعيسى قبل موت صاحب الكتاب. وقال ابن عباس: لو ضربت عنقه لم تخرج نفسه

---

(١) النساء ١٥٧، ١٥٨

(٢) النساء ١٥٩.

حتى يؤمن لعيسى. وعن عكرمة عن ابن عباس: لا يموت اليهودي حتى يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله ولو عجل عليه بالسلاح.

ويؤيد هذا التفسير أيضا قراءة أبي بن كعب (إلا ليؤمنن به قبل موتهم). وقيل لابن عباس: أرأيت إن خرّ من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهوىّ. قيل: أرأيت إن ضرب عنق أحدهم؟ قال: يلجلج بها لسانه.

فقراءة أبيّ. وهذه الأسانيد الصحيحة عن ابن عباس تؤيد هذا الرأي الثاني القائل بأن المعنى. قبل موت الكتابي.

وقال غير هؤلاء وهؤلاء: إن المعنى: ليؤمن بالله. أو بمحمد.. قبل موت الكتابي.

والحق: أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن. وهذا واقع. لأن كل أحد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلا فيؤمن به.

ولكن - كما قال النووي وغيره - لا ينفعه هذا الإيمان في هذه الحالة. كما قال تعالى (وليست التوبة للذين يعملوت السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن)[١].

ولذلك ضعفت الآراء ما عدا الرأي الأول. وقد سبق ترجيحه.

بعض الآثار الواردة في نزول عيسى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا. فيكسر الصليب. ويقتل الخنزير. ويصنع الجزية[٢]. ويفيض المال حتى لا يقبله أحد. وحتى تكون السجدة خيرا له من الدنيا وما فيها. ثم يقول أبو هريرة: أقرأوا إن شئتم: (وإن من أهل

---

(١) النساء ١٨.

(٢) ليس ذلك نسخا منه لشريعتنا. بل مشروعية الجزية في هذه الشريعة مقيدة بنزول عيسى عليه السلام

الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته..)[1] وله طرق مختلفة. وفي بعضها. وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين.

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ليهلّن عيسى بن مريم بفج الروحاء[2] بالحج أو العمرة أو ليثنيهما جميعا[3].

وعنه رضي الله عنه. قال.: قال رسول الله ﷺ: ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة. ويعطي المال حتى لا يقبل. ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعها. وتلا أبو هريرة الآية[4].

وعنه رضي الله عنه قال: قال ﷺ: كيف بكم إذا نزل فيكم المسيح بن مريم وإمامكم منكم[5].

وفي أخرى. فأمكم منكم[6].

وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد. وإني أولى الناس بعيس بن مريم لأنه لم يكن نبي بيني وبينه. وإنه نازل. فإذا رأيتموه فاعرفوه. رجل مربوع إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصّران كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل. فيدق الصليب ويقتل

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء. ومسلم في كتاب الإيمان انظر جمع الفوائد رقم ٩٩٦١ والآية من النساء ١٥٩

(٢) مكان بين مكة والمدينة.

(٣) رواه مسلم وأحمد. انظر ابن كثير حـ ١ ص ٥٧٨

(٤) رواه أحمد من طريق حنظلة وقال حنظلة إن أبا هريرة قال: يؤمن به قبل موت عيسى. فلا أدري هل قاله النبي ﷺ أو شيء قاله أبو هريرة. انظر فتح الباري حـ ٦ ص ٤٩٣

(٥) رواه البخاري في كتاب الأنبياء. ومسلم في كتاب الإيمان وأحمد انظر جمع الفوائد رقم ٩٩٦٣

(٦) جمع الفوائد رقم ٩٩٦٤ فسره ابن أبي ذئب: فأمكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم. (مسلم) والمراد بالرواية الأولى: إمامكم منكم: يحكم بالقرآن لا بالإنجيل. أو يكون مأموما لإمام من المسلمين. لما ورد: تقدم فإنها لك أقيمت. ليتقدم إمامكم. قال ذلك عيسى لهم عندما قالوا له تقدم يا روح الله.

الخنزير ويصنع الجزية. ويدعو الناس إلى الإسلام. ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام. ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال. ثم تقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل. والنمار مع البقر. والذئاب مع الغنم. ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة. ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون[١].

وعنه رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ[٢]. وفيه.. فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فيؤمهم. فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لذاب حتى يهلك. ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته[٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: لقيت ليلة أسرى بي إبراهيم وموسى وعيسى. عليهم السلام. فتذكروا أمر الساعة فردوا أمرهم إلى إبراهيم. فقال: لا علم لي بها. فردوا أمرهم إلى موسى فقال: لا علم لي بها. فردوا أمرهم إلى عيسى. فقال: أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله. وفيما عهد إليّ ربي عز وجل أن الدجال خارج ومعي قضيبان. فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص. قال فيهلكه الله إذا رآني حتى إن الحجر والشجر يقول: يا مسلم: إن تحتي كافرا فتعال فاقتله. قال: فيهلكهم الله. ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطأون بلادهم فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه. ولا يمرون على ماء إلا شربوه. قال: ثم يرجع الناس يشكونهم فأدعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوي الأرض من نتن ريحهم. وينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر. ففيما عهد إليّ ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفاجئهم بولادها ليلا أو نهارا[٤].

---

(١) للشيخين وأبي داود والترمذي. انظر جمع الفوائد رقم ٩٩٦٦

(٢) تقدم الحديث بطوله مع شرحه في الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية.

(٣) رواه مسلم في كتاب الفتن

(٤) رواه أحمد وابن ماجه. انظر ابن كثير جـ ١ ص ٥٧٩

وعن ابن عمرو مرفوعا: يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوما أو شهرا أو عاما. فيبعث الله عيس كأنه عروة بن مسعود. فيطلبه فيهلكه. ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة.. الحديث(١).

وعن مُجمَّع بن جارية. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقتل ابنُ مريم الدجال بباب لدُ. أو إلى جانب لد(٢)

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينزل عيسى. فيقول أميرهم: تعال صل لنا. فيقول: لا. إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة(٣).

وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: .... ومع الدجال سبعون ألفا عليهم التيجان وأكثر من معه اليهود والنساء. وينحاز المسلمون إلى أفيق. فيبعثون سرحا لهم فيصاب سرحهم فيشتد ذلك عليهم ويصيبهم مجاعة شديدة وجهد شديد. حتى إن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله. فبينما هم كذلك إذ نادي مناد من الشجر: يأيها الناس. أتاكم الغوث ثلاثا. فيقول بعضهم لبعض: إن هذا الصوت رجل شبعان. وينزل عيس بن مريم عليه السلام عند صلاة الفجر فيقول له أميرهم: يا روح الله تقدم صلّ. فيقول: هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض فيتقدم أميرهم فيّصلي. حتى إذا قضى صلاته أخذ عيس حربته. فيذهب. نحْو الدجال. فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص فيضع حربته بين ثندوتيه فيقتله ويهزم أصحابه. فليس يومئذ شيء يواري منهم أحدا حتى إن الشجرة تقول: يا مؤمن. هذا كافر. ويقول الحجر: يا مؤمن: هذا كافر(٤).

---

(١) رواه مسلم في ذكر الدجال.

(٢) رواه احمد والترمذي وقال: صحيح. انظر تحفة الأحوذي حـ ٦ ص ٥١٤ .

(٣) رواه مسلم جمع الفوائد رقم ٩٩٦٧

(٤) رواه أحمد. أنظر ابن كثير حـ ١ ص ٥٧٩

وعن أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله ﷺ. فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال. وفيه.. قالت أم شريك: فأين العرب يومئذ؟ قال: هم قليل وجلهم يومئذ ببيت المقدس. وإمامهم رجل صالح. فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عيسى عليه السلام. فرجع ذلك الإمام يمشي القهقري ليتقدم عيسى عليه السلام. فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول: تقدم فصل فإنها لك أقيمت. فيصلي بهم إمامهم. فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب فيفتح. ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذوسيف محلى وتاج. فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربا. فيقول عيسى: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها. فيدركه عند باب لُدّ الشرقي فيقتله. ويهزم الله اليهود. فلا يبقى شيء مما خلق الله تعالى يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق. الحديث[١].

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر لنا رسول الله ﷺ الدجال...[٢] وفيه... فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام. فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين[٣] واضعا كفيه على اجنحة ملكين. إذا طأطأ رأسه قطر[٤].. الحديث[٥].

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال: لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات. طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج ونزول عيسى بن مريم والدجال وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب

---

(١) رواه ابن ماجه. وهو طويل. انظر تفسير ابن كثير حـ ١ ص ٥٨٠

(٢) تقدم أوله في: ما يظهر من الخوارق. وستأتي بقية منه في يأجوج ومأجوج.

(٣) لابسا حلتين مصبوغتين

(٤) أي عرق

(٥) رواه مسلم في ذكر الدجال

وخسف بجزيرة العرب. ونار تخرج من قعر عدن تسوق - أو تحشر - الناس. تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا[1].

وقت نزوله ومكانه

من مجموع الأحاديث المذكورة وما لم أذكره. المتواترة عن رسول الله ﷺ. من رواية أبي هريرة وابن مسعود وعثمان ابن أبي العاص وأبي أمامة والنواس وحذيفة وغيرهم.

نجد الدلالة القاطعة على نزول عيسى عليه السلام. والدلالة على وقت نزوله. ومكان نزوله. وصفة نزوله.

فينزل عليه السلام عند صلاة الصبح وقد أقيمت الصلاة.

وينزل بدمشق. عند المنارة البيضاء شرقي دمشق.

وينزل بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين.

ونزوله بعد خروج الدجال. فيقتله عند باب لُد

ويبعث الله في أيامه يأجوج ومأجوج فيهلكهم الله تعالى ببركة دعائه عليهم.

وسيكون نزوله آخر الزمان. ويحكم بشريعة محمد ﷺ فهي باقية ولا تنسخ.

فمن حديث عبد الله بن مغفل: ... ينزل عيسى بن مريم. مصدقا بمحمد على ملته[2].

ويبطل كل الأديان إلا دين الإسلام.

ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية. إبطالا للنصرانية

ويعم السلام في عصره وتذهب الشحناء والبغضاء

ويكثر المال لقلة الرغبة في اقتنائه للعلم بقرب الساعة ولنزول البركات وكثرة الخيرات بسبب العدل. وتكون كثرته من أسباب وضع الجزية.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن

(٢) رواه الطبراني. انظر فتح الباري هـ ٦ ص ٤٩١

وتكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها. حيث لا يتقرب إلى الله وقتئذ بالصدقات لعدم الرغبة فيها. فليس إلا العبادة والسجود.

ويبقى في الأرض سبع سنين. وفي رواية: أربعين. وفي رواية: تسع عشرة سنة.. وفي رواية خمسا وأربعين[1].

ويتزوج ويحج ويعتمر. ثم يتوفي. ويصلي عليه المسلمون ويدفن مع النبي ﷺ في قبره[1].

صفة عيسى عليه السلام

تقدم في حديث أبي هريرة: فإذا رأيتموه فاعرفوه. رجل مربوع. إلى الحمرة والبياض. عليه ثوبان ممصران. كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل.

وفي حديث النواس. فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر. وإذا رفعه تحدّر منه مثل جمان اللؤلؤ. ولا يحل لكافر أن يجد ريح نَفَسه إلا مات. ونفَسه ينتهي حيث انتهى طرفه.

وفي البخاري عن أبي هريرة مرفوعا: لقيت ليلة أسرى بي... لقيت عيسى.. ربعة أحمر كأنه خرج من ديماس.

وفي رواية: فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر.

وفي مسلم: فيما رآه النبي ﷺ في المنام: وأراني الله عند الكعبة في المنام. وإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من آدم الرجال. تضرب لمته بين منكبيه. رجل الشعر. يقطر رأسه ماء. واضعا يديه على منكبى رجلين وهو يطوف بالبيت. فقلت من هذا؟ قالوا: هو المسيح بن مريم[2].

ورواه البخاري عن سالم عن أبيه قال: لا والله ما قال النبي ﷺ لعيسى

---

(١) سيأتي بيانه قريبا في عمره ووفاته

(٢) يراجع تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥٨٣

أحمر. ولكن قال: بينما أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر يتهادى بين رجلين ينطف رأسه ماء - أو يهراق رأسه ماء - فقلت من هذا؟ فقالوا: ابن مريم[1]

وفاة عيسى عليه السلام

اختلف في موت عيسى عليه السلام قبل رفعه.

والأصل في ذلك قوله تعالى: «إني متوفيك ورافعك إليَّ»[1] فقيل[2]: الوفاة على ظاهرها. فعن ابن عباس رضي الله عنهما إني متوفيك: أي مميتك.. فمات قبل رفعه. وعندما ينزل يموت مرة أخرى بعد مضي المدة المقررة له ويدفن مع النبي ﷺ

وعن وهب بن منبه: توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه.. والنصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه. رواهما ابن إسحق.

وعن وهب: أماته الله ثلاثة أيام ثم بعثه ثم رفعه.

ومفهوم ما تقدم أنه مات قبل الرفع.

وقال قتادة وغيره: هذا من المقدم والمؤخر. تقديره: إني رافعك إلى ومتوفيك أي بعد ذلك.. أي أن وفاته تكون بعد نزوله.

وقال مطر الوراق: إني متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت...

وقال ابن جرير: توفّيه: هو رفعه.

فليست الوفاة على ظاهرها.

وقال الأكثرون: المراد بالوفاة هنا النوم. كما قال تعالى (وهو الذي يتوفاكم

---

(١) سورة آل عمران ٥٥

(٢) يراجع تفسير ابن كثير حـ ١ ص ٣٦٦ وفتح الباري حـ ٦ ص ٤٩٣

بالليل[١]) وقوله (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها)[٢]. وكان ﷺ يقول إذا قام من نومه (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا). وعن الحسن: الوفاة وفاة المنام.

ويؤيد هذا وأنه لم يمت قبل الرفع قوله تعالى (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم - إلى قوله - وما قتلوه يقينا. بل رفعه الله إليه - إلى قوله - وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته)[٣] أي حين ينزل. فموته سيكون بعد نزوله. وهو الراجح

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عيسى بن مريم عن بعض السلف أنه يدفن مع النبي ﷺ[٤]. في حجرته[٥].

عمره عند وفاته

اختلف فيه

ففي حديث أبي هريرة: يمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنة

وفي حديث ابن عمر: أنه يمكث سبع سنين.

وروى نعيم حماد عن ابن عباس: يقيم بها تسع عشرة سنة.

وعن ابن عمرو مرفوعا: فيتزوج ويولد له ويمكث خمسا وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى بن مريم في قبر واحد بين أبي بكر وعمر[٦].

---

(١) سورة الأنعام ٦٠

(٢) سورة الزمر ٤٢

(٣) سورة النساء ١٥٧ - ١٥٩

(٤) سيأتي ذكره في رواية ابن عمرو. في نفس الصفحة

(٥) يراجع ابن كثير حـ ١ ص ٣٦٦، ٥٨٣ وفتح الباري حـ ١ ص ٤٩٣

(٦) وأيضا رواه ابن الجوزي

وحكي ابن عساكر عن بعضهم أنه رفع وله ١٥٠ سنة

فيحتمل - والله أعلم - أن يكون المراد بأربعين سنة مجموع إقامته في الأرض. قبل رفعه ٣٣ سنة. وبعد نزوله ٧ سنوات. وقد ورد ما يؤيد ذلك في حديث صفة أهل الجنة أنهم على صورة آدم وميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة. (وهذا للجمع بين أصح الروايات)

وأما ما حكاه ابن عساكر. وما رواه نعيم عن ابن عباس وابن عمرو. فهو مخالف لما ترجح. ولا يمكن التوفيق بينهم. والله أعلم[١].

خروج يأجوج ومأجوج

يأجوج ومأجوج أمتان من الناس يعيشان الآن وراء السدَّ الذي بناه ذو القرنين. منذ زمان بعيد.

فإذا ما اقتربت الساعة خرجا على الناس. وكان خروجها من علامات الساعة القريبة منها.

فدورهم يأتي بعد خروج الدجال. ثم قتله على يد عيسى ابن مريم عليه السلام.

وهما أصحاب قوة لا تقاوم. وأعداد لا تحصر. وأذاهم شديد. وضررهم بالغ. ولا يد لأحد من الناس على مقاومتهم. فيفر الناس منهم إلى الجبال أو يتحصنون بالبيوتَ. ويلوذون بالدعاء عليهم.

ويصيب عيسى عليه السلام منهم ما يصيب الناس من الهول والعنت. فيؤمر بأن يحرز عباد الله إلى الطور. وهناك يرغب إلى الله تعالى بالدعاء عليهم. فيستجيب الله له.

فيرسل عليهم من السماء عذابا وداء يفشو في أعناقهم فيموتون موتة رجل واحد. ثم يطهر الأرض من نتنهم.

---

(١) يراجع المصدران السابقان: ابن كثير كثير وفتح الباري.

وفيما يلي من النصوص القرآنية والسنة النبوية. نجد تفصيل ذلك مع الدليل.

وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم في موضعين.

الأول: يصور بناء السد عليهم. وأنه يبقى إلى أن يأتي وعد الله.

والثاني: خروجهم من السد. عندما تقترب الساعة.

ذكرهم في القرآن الكريم

قال الله تعالى: .. ثم أتبع سببا. حتى إذا بلغ بين السببين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا. قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا. قال ما مكنى فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما. آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا. حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا. فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا. قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا. وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا[١].

وقال تعالى: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين[٢].

ذكرهم في الأحاديث

عن زينب بنت حجش رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوما فزعا. يقول: لا إله إلا الله. ويل للعرب من شر قد اقترب. فتح اليوم من ردم

---

(١) سورة الكهف ٩٢ - ٩٩

(٢) سورة الأنبياء ٩٦ - ٩٧

يأجوج ومأجوج مثل هذه. وحلق بإصبعيه. الإبهام والتي تليها. قالت زنيب: فقلت يا رسول الله: أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الجنث[١].

وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال ذكر رسول الله ﷺ الدجال - وساق الحديث[٢]. وفيه - ثم يأتي عيسى بن مريم قوم عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة.

فبينما هو كذلك إذا أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادا لي لايدان[٣] لأحد بقتالهم. فحرّز[٤] عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمرأ وائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها. ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء. ويحصرُ[٥] نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور[٦] لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم. فيرغب[٧] نبي الله عيسى وأصحابه. فيرسل الله عليهم النغف[٨] في رقابهم فيصبحون فرسى[٩] كموت نفس واحدة. ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض. فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم[١٠]. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل طيرا كأعناق البخت[١١] فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله. ثم يرسل الله مطرا لا يكُنُّ منه بيت مدر ولا وبر[١٢].

---

(١) البخاري في كتاب الفتن باب يأجوج ومأجوج.

(٢) ذكرنا جزءا منه في خوارق الدجال. وجزءا آخر في نزول عيسى. وفي هنا بقية ما سبق.

(٣) لا قدرة

(٤) احفظهم

(٥) يُحبس في جبل الطور

(٦) ضرب ذلك مثلا لكمال الفاقة بهم.

(٧) يدعو

(٨) دود يكون في أنوف الغنم والإبل

(٩) هلكى

(١٠) الزهم هو النتن: رائحة اللحم المنتن

(١١) أعناقها طويلة كالإبل الينخت

(١٢) لا بيت من حجر ولا بيت من صوف

فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[١] ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردّى بركتك. فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها. ويبارك في الرسْل[٣] حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام[٤] من الناس. واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس. واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس. فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم. ويبقى شرار الناس يتهارجون[٥] فيها تهارج الحمر. فعليهم تقوم الساعة[٦].

وعن عبد الرحمن بن يزيد: نحو ما ذكر. وزاد بعد قوله: لقد كان بهذه مرة ماء: ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخَمَر[٧] فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء. فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما[٨ - ٩]

أصلهم وانتسابهم

ينتسبون إلى يافث بن نوح.

وعن كعب: هم من ولد آدم من غير حواء. وذلك أن آدم عليه السلام نام فاحتلم فامتزجت نطفته بالتراب. فخلق الله منها يأجوج ومأجوج. وهذا القول

---

(١) أي كالمرآة

(٢) أي من الدجال

(٣) اللبن

(٤) الجماعة الكثيرة

(٥) يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كالحمير.

(٦) رواه مسلم في ذكر الدجال

(٧) جبل بيت المقدس سمى بذلك لكثرة شجره وستره للأشياء

(٨) يصبغها الله بالدم استدراجا لهم. وربما لإصابتها طيرا. وهو كناية عن أن فسادهم عم العلويات أيضا

(٩) رواه مسلم في ذكر الدجال

مردود. بأن النبي لا يحتلم. وأجيب على الرد: بأن المنفي أن يرى في المنام أنه يجامع غير زوجته. ومع هذا. فالأول هو المعتمد[١].

وإلا: فأين كانوا حين الطوفان؟

عددهم ووصفهم

رُوى في عددهم: أن يأجوج أمة ومأجوج أمة أخرى وكل أمة أربعمائة ألف. لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح[٢].

ولهذا الحديث شاهد صحيح. عن ابن مسعود مرفوعا: إن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم لصلبه ألفا من الذرية[٣]

ورُوى مرفوعا: إن يأجوج ومأجوج يجامعون ما شاءوا. ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا.[٤].

وعن عبد الله بن عمرو: الجن والإنس عشرة أجزاء. فتسعة أجزاء يأجوج ومأجوج. وجزء سائر الناس[٥].

وعن كعب[٦]: هم ثلاثة أصناف:

صنف أجسادهم كالأرْز.

وصنف أربعة أذرع في أربعة أذرع.

وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون بالأخرى[٦].

ومن حيث حذيفة مرفوعا: لا يمرون على شيء إذا خرجوا إلا أكلوه. ويأكلون من مات منهم[٧].

---

(١) يراجع فتح الباري حـ ١٣ ص ٩٤

(٢) رواه الطبراني وابن مردويه. وقال ابن عدي: موضوع كذا في فتح الباري حـ ١٣ ص ٩٤

(٣) يراجع فتح الباري حـ ١٣ ص ٩٤ والحديث أخرجه ابن حبان

(٤) رواه النسائي. وأخرج الحاكم وعبد بن حميد مثله.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم

(٦) يراجع فيه وفي الأثنين قبله. فتح الباري جـ ١٣ ص ٩٤

(٧) رواه ابن مردويه والحاكم. ذكره فتح الباري حـ ٦ ص ٣٨٦

وعن قتادة قال: يأجوج ومأجوج ثنتان وعشرون قبيلة. بني ذو القرنين السدّ على إحدى وعشرين. وكانت منهم قبيلة غائبة في الغزو. وهم الأتراك. بقوا خارج السد(٥).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ يقول الله تعالى: يا آدم: فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك. فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار.؟ قال: من كلَ ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. قالوا: يا رسول الله: وأينا ذلك الواحد؟ قال: أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف. ثم قال: والذي نفس بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. فكبّرنا فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبّرنا. فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبّرنا. فقال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض. أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود(٦).

موطنهم. ومكان السد. وهل رآهم أحد؟

ذكر الألوسي(١) أن ذا القرنين في رحلته الثالثة: اتبع طريقا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من مطلع الشمس إلى الشمال. حتى إذا بلغ بين السدّين أي الجبلين الواقعين على عرض تسعين من جهة الشمال. وهو المراد بآخر الجربياء في كتاب حزقيال عليه السلام.

وقد ذكر بعض أحبار اليهود: أن يأجوج ومأجوج في منتهى الشمال حيث لا يستطيع أحد غيرهم السكنى فيه.

وهذه الأقوال متقاربة.

---

(٥) وسموا الترك لذلك. يراجع فتح الباري حـ ١٣ ص ٩٥

(٦) رواه البخاري في كتاب الأنبياء. باب يأجوج ومأجوج.

(١) في تفسيره حـ ١٦ ص ٣٧ وما بعدها. بتصرف

لكن: نسب إلى ابن عباس: وهي نسبة غير مسلّمة. أن السدين هما جبلا أرمينية وأذربيجان.

فمن زعم ذلك: توهم أن السد القائم هناك الذي بناه كسرى أنوشروان هو سد ذي القرنين.

وقيل: هما بموضع من الأرض لا نعلمه. وكم فيها من أرض مجهولة. ولعله قد حال بيننا وبين ذلك الموضع مياه عظيمة فالبراري والبحار غير مستقرة. كما يجوز أن تكون في البحر أرض لم يظفر بها للآن. كما لم تعلم أمريكا إلا حديثا.

ويلزمنا الإيمان بوجود هذين السدين وما يتبعها. لإخبار الصادق الأمين ﷺ - عن ربه تعالى - اهـ.

أقول:

إن الله تعالى: في الحديث عن ذي القرنين. قال: عن رحلته الأولى: إذا بلغ مغرب الشمس. وعن الرحلة الثانية. إذا بلغ مطلع الشمس. فبين اتجاهه وخط سيره. غربا وشرقا. أما في الحديث عن الرحلة الثالثة لذي القرنين. فلم يقل عنها إنها شمالا أو جنوبا. وترك ذلك مبهما. وقال: إذا بلغ بين السدين: ولعل في ذلك الإبهام ما يشير إلى أن مكان السدين: ومكان يأجوج ومأجوج. والسد الذي بناه ذو القرنين سيظل مجهولا إلى ما شاء الله.

وهذا مما يرجح عندي الرأى الأخير الذي ذكره الألوسيّ فقال: وقيل: هما بموضع من الأرض لا نعلمه.

يضاف إلى هذا: إن أحدا من أهل هذا العصر المتقدم علمياً لم يصل إليه. أما الوصول إلى مكانهم ورؤية السد:؟

فعن قتادة: عن رجل من أهل المدينة. قال: يا رسول الله: قد رأيت سد

يأجوج ومأجوج. قال: انعته لي. قال: كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء. قال: قد رأيته[1].

وقد بعث الخليفة الواثق بالله العباسي بعض أمرائه وجهز معه جيشا سرية لينظروا إلى السد ويعاينوه وينعتوه له إذا رجعوا. ووصلوا إليه. ورأوا بناءه من الحديد والنحاس وذكروا أنهم رأوا فيه بابا عظيما وعليه أقفال عظيمة. وأنه عال منيف شاهق لايستطاع. ولا ما حوله من الجبال. ورجعوا بعد غيبة أكثر من سنتين[2].

وأقول: هذا كلام لا يعتمد عليه. وبعيد عن القبول فلو رآه أهل العصور السابقة. لهان على أهل هذا الزمان رؤيته. لوفرة الإمكانات العلمية والمادية في العصر الحاضر.

وبقي أن نفوض العلم إلى الله تعالى.

ذو القرنين والسدّ

اختلف في ذي القرنين. فأما اسمه ونسبته فلا تهمنا بشيء وأما صفته. فقيل:

ملك أهبطه الله تعالى إلى الأرض. ولذلك شاهد غريب عن عمر رضي الله عنه: أنه نهى عن التسمية بذلك لأنها من أسماء الملائكة

وقيل: نبي. ويشهد لذلك ظاهر القرآن

وقيل: عبد صالح ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة ومكنه من كل شيء.

---

(١) رواه ابن جرير مرسلا. ورواه غيره موصولا. وذكره البخاري في كتاب الأنبياء. باب قصة يأجوج ومأجوج. انظر فتح الباري حـ ٦ ص ٣٨٦ والألوس حـ ١٦ ص ٤٢ وقال: الظاهر أن الرؤية بصرية. وهو أمر غريب إن صحر الخبر. ورواه الطبراني. وفيه زيادة منكرة. وهي: والذي نفس بيده لقد رأيته ليلة أسرى بي لبنة من ذهب ولبنة من فضة.

(٢) قال الألوس حـ ١٦ ص ٤٢ جمهور المؤرخين على تصنيفه. وعندي أنه كذب. اهـ.

وقد توهم بعضهم أنه الإسكندر الأكبر باني الاسكندرية فقد لُقّب أيضا بذي القرنين. وليس هو:

فالأول: عربي مؤمن. عمّر ألفي سنة. وحج في زمن إبراهيم عليه السلام ووزيره الخضر عليه السلام.

والثاني: يوناني. كافر. عمّر ثلاثين سنة. وكان في زمن عيسى عليه السلام ووزيره الفيلسوف أرسطوطاليس[٣].

كان ذو القرنين (باني السد) كثير الغزو تحت راية الإيمان. محبا للعدل ونصرة الضعفاء. شديد الوطأة على الظالمين. فتح المغرب إلى أقصاه. ثم المشرق إلى منتهاه. وملأها إيمانا وعدلا. ومن المشرق اتجه شمالا بغرب إلى أقصاه حيث يأجوج ومأجوج وعدوانها المتكرر على المجاورين لهما. وشكا إليه المظلومون وذلك لما وجدوا فيه من الشهامة والنجدة وحب المعروف. وعرضوا عليه مالاً ليبني لهم سدا يحميهم من شر هؤلاء المفسدين فردّ عليهم المال الذي عرضوه. مكتفيا بنعم الله عليه. وأقام لهم سدا منيعا يصارع الزمان.

بلغ ارتفاع هذا السد - على ما قيل - مائتي ذراع. وقيل - ألفا وثمانمائة ذراع. وعرضه خمسون ذراعا.

وأساسه بلغ الماء. وجعل فيه الصخر والنحاس المذاب. وقطع الحديد للبناء فوق الأرض. وقد تجلّى في هذا العمل الضخم علْم ذي القرنين. فإفراغ القطر على الحديد المحميّ. ليعطي الصلابة الفائقة. نتيجة لم يصل إليها العلم إلا حديثا.

ثم: لما فرغ ذو القرنين من إقامة السد. لم يفخر بما فعل. ولم يصبه الإعجاب والغرور. بل ولم ينسب الفعل إلى نفسه. بل قال: هذا رحمة من ربي. وحمد الله وشكره. على توفيقه وعونه وهذا شأن المؤمن العارف بمقام ربه[١].

---

(١) ملخص مما في الألوس حـ ١٦ ص ٤١ وما بعدها

وأصبح من المستحيل على المحصورين فيه. أن ينقبوه أو يتسوروه لقوته ومنعته. ولأن الله تعالى لم يوفقهم إلى طريقة تخلصهم.

فإذا جاء وعد الله. واقترب يوم القيامة. جعل الله هذا السد القوي أرضا مستوية. كما تدك كل الجبال. وتزلزل الأرض وتتفجر البحار. وتتشقق السماء. ووعد الله حق بين.

فلما يُدك السد. تخرج يأجوج ومأجوج. في تدافع وتزاحم. وصياح وجلبة. يموج بعضهم في بعض. وهم من كل حدب ينسلون[١]

كيفية خروجهم

ذكرُ خروجهم جاء في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تقدمت. والذي نريده الآن ونحاول معرفته: كيف يخرجون؟

هل ينهار هذا السد. ويتفتت. ويُسوّى بالأرض؟ كما هو ظاهر قول الله تعالى « فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء »[٢].

أو تقوم يأجوج ومأجوج بمحاولات لفتحه. فلا ينجحون. ويظل مستعصيا عليهم. إلى أن يأتي وعد الله فيفتحونه؟ وذلك كقوله تعالى « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج »[٣]. وكقوله ﷺ: فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج[٤]. وكقوله: يفتح الردم ردم يأجوج ومأجوج[٥]. وغير ذلك مما ورد بلفظ فتح؟

يظهر لي - والله أعلم - حيث إن أكثر النصوص جاء بعبارة فتح. وبعضها صّور طريقة فتحه. وهذا ما سنذكره قريبا جدا. وأنهم سيُلهمون أخيرا قول: إن شاء الله. فيسهل عليهم فتحه والخروج منه.. حيث الأمر

---

(١) ينسلون: يهبطون مسرعين من كل مرتفع.

(٢) سورة الكهف ٩٨

(٣) سورة الأنبياء ٩٦

(٤) تقدم عن زنيب بنت جحش

(٥) من رواية أبي هريرة.

كذلك فيمكن أن يؤوّل قوله تعالى «جعله دكاء» بمعنى أنه فقد صلابته وتماسكه. وأصبح ضعيفا وهذا مما ساعدهم على خرقه.. أو نقول: إنهم يفتحونه بالطريقة التي ستذكر. ويخرجون. فيُدك بعد ذلك مع دك الجبال. مع قيام الساعة.

عن كعب[١]. إذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج. حفروا حتى يسمع الذين يلونهم قرع فئوسهم. فإذا كان الليل. ألقي الله على لسان رجل منهم يقول: نجيء غدا فنخرج. فيعيده الله كما كان. فيجيئون من الغد فيجدونه قد أعاده الله كما كان. فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرع فئوسهم. فإذا كان الليل ألقي الله على لسان رجل منهم يقول: نجيء غدا. فنخرج إن شاء الله. فيجيئون من الغد فيجدونه كما تركوه. فيحفرون حتى يخرجوا. فتمر الزمرة الأولى بالبحيرة فيشربون ماءها..الخ[٢]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفوونه غدا فيعودون إليه كأشد ماكان. حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحضرونه غدا. إن شاء الله[٣]

وهذا القول قد روي عن كعب من عدة طرق.

وفي بعضها: يلحسونه. ويلهمون أن يقولوا إن شاء الله.[٤]

وبعد خروجهم منه.

ينطلقون انطلاق السهم من القوس ويتساقطون من شعاب الجبال وقممها

---

(١) رواه ابن جرير

(٢) ستأتي بقية قريبا

(٣) رواه أحمد.

(٤) في رفعة مقال وقيل: سمعه من كعب لكثرة مجالسته له فتوهم بعض الرواة عن أبي هريرة أنه مرفوع.. يراجع في كل ما تقدم أبن كثير حـ٣ ص ١٩٦

مسرعين منقضّين على فرائسهم وغنائمهم من الإنسان والحيوان والنبات والماء. ويراهم الناس فيرهبونهم. ويفرون أمامهم. ويتحصنون منهم.

ثم يتجه يأجوج ومأجوج غربا نحو بيت المقدس. وهناك نبى الله عيسى عليه السلام وأصحابه. فيتحصنون منهم بالطور ولا يجرؤ أحد على مقاومتهم. أو التصدي لهم. أو الوقوف في سبيلهم.

ويلجأ نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى مناجاة الله تعالى. ودعائه عليهم. فيهلكهم الله تعالى بالنغف.

وبعد أن تتطهر الأرض منهم. يغمرها الله تعالى بالخير والبركة والأمان

ومن الآثار التي تصور أحوالهم بعد فتح السد: هذه الأحاديث:

قال ابن جرير: رأى ابن عباس صبيانا ينزو[1] بعضهم على بعض يلعبون. فقال ابن عباس: هكذا يخرج يأجوج ومأجوج[2].

وحديث النواس[3]: يبين جانبا كبيرا مما يفعلونه في طريقهم كما يبين نهايتهم.

وحديث كعب[4]: وفيه: فتمر الزمرة الأولى بالبحيرة فيشربون ماءها. ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون: قد كان ههنا مرة ماء. فيفر الناس منهم: فلا يقوم لهم شيء. ثم يرمون بسهامهم إلى السماء فترجع إليهم مخضبة بالدماء. فيقولون: غلبنا أهل الأرض وأهل السماء. فيدعو عليهم عيسى بن مريم عليه السلام فيقول: اللهم لا طاقة ولا يدين لنا بهم فاكفناهم بما شئت. فيسلط الله عليهم دودا يقال له النغف فيفرس رقابهم. ويبعث الله عليهم طيرا تأخذهم بمناقيرها فتلقيهم في البحر. ويبعث الله عينا يقال لها الحياة يطهر الله الأرض وينبتها حتى إن الرمانة يشبع منها السكن. قيل: وما السكن يا كعب؟ قال: أهل البيت[5].

---

(١) يقفز

(٢) براجع ابن كثير حـ٣ ص ١٩٥.

(٣) رواه مسلم. وقد تقدم أكثر من مرة. وأقربها أول باب يأجوج ومأجوج.

(٤) تقدم أوله في الصفحة السابقة. وما هنا باقية.

(٥) براجع ابن كثير حـ٣ ص ١٩٦.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل: وهم من كل حدب ينسلون فيَغْشون الناس. وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم.. ويشربون مياه الأرض. حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يابسا. حتى إن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان ههنا مرة ماء حتى إذا لم يبق من الناس أحد. إلا أحد في حصن أو مدينة قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء قال: ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمى بها إلى السماء فترجع إليه مخضبة دما للبلاء والفتنة. فبينما هم على ذلك، بعث الله عز وجل دودا في أعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقه. فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس. فيقول المسلمون: ألا رجل يشرى لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو؟ قال: فينحدر رجل منهم محتسبا نفسه قد أوطنها على أنه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض. فينادى: يا معشر المسلمين: ألا أبشروا إن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم. فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لهم رعى إلا لحومهم. فتشكر عنهم كأحسن ما شكرت عن شيء من النبات أصابته قط.[1]

التتار ويأجوج ومأجوج.

علاقة التشابه بينهما كبيرة إن لم تكن تامة. فكلاهما مفسد في الأرض أشد الفسادِ. وخط سيرهما واحد. يخرجون من الشرق ويتجهون إلى الغرب. وكلاهما يهلك دون بيت المقدس.

ولذلك زعم بعضهم أن يأجوج ومأجوج هم التتار.

وهذا زعم باطل. فلم يخرج التتار من سدّ. وإلا فأين هو؟ ولم ينفخ في العبور عقب خروجهم. قال تعالى: وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه. يراجع ابن كثير حـ٣ ص ١٩٥.

الصور »[١]. ولم يهلكهم الله بالدود في أعناقهم كما وردت بذلك الأحاديث. ولم يشربوا كل مياه بحيرة طبرية ولم يسمع أنهم حاربوا أهل السماء. ولا أن عيسى عليه السلام وأصحابه أحصروا منهم - ويأجوج ومأجوج من علامات الساعة القريبة منها وليس من العلامات العامة التي تؤذن وتشير إلى مجيئها فقط.

طلوع الشمس من مغربها.

طلوع الشميس من مغربها أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي. وينتهي ذلك بقيام الساعة.

كما أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض. وينتهي ذلك بموت عيسى عليه السلام. وخلال حياته تخرج يأجوج ومأجوج.

وطلوع الشمس من مغربها إنما يقع عند إشراف قيام الساعة فإذا طلعت الشمس من مغربها ورآها الناس أغلق باب التوبة ورفعت الصحف والحفظة. فيكون حكم الإيمان أو العمل الصالح حينئذ حكم من آمن أو عمل عند الغرغرة. وذلك لا يفيد شيئا كما قال تعالى « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا »[٢]. وكما ثبت في الحديث الصحيح « تقبل توبة العبد ما لم يبلغ الغرغرة »[٣]..

وهذا معنى قوله تعالى « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل.. الآية)[٤].

ومن خلال ما سندرس من الآيات والأحاديث نصل إلى جلاء الغامض في معنى هذه الآية الكونية العظيمة.

---

(١) سورة الكهف ٩٩.
(٢) سورة غافر ٨٥
(٣) ذكره فتح الباري حـ١١ ص ٣٥٣
(٤) سورة الأنعام ١٥٨.

ذكرها في القرآن.

أمامنا آيتان كريمتان في هذا الموضوع:

... الأولى: قوله تعالى: «والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم»[١] ومستقرها: هو طلوعها من مغربها وسنأتي الآثار التي تفسر هذه الآية بهذا المعنى.

... والثانية: قوله تعالى: «يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»[٢].

وقد ذهب الجمهور: إلى أن المراد بالبعض في هذه الآية: طلوع الشمس من مغربها[٣].

وستأتي الآثار التي تؤكد هذا التفسير وتوضحه.

ذكرها في الأحاديث.

عن أبي در رضي الله عنه: قال: دخلت المسجد حين غابت الشمس فقال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر: هل تدري أين تذهب هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: إنها تذهب حتى تستأذن ربها في السجود فيؤذن لها.. وكأنها وقد قيل لها: اطلعي من حيث جئت. فتطلع من مغربها. ثم قرأ: «وذلك مستقر لها» وهي قراءة ابن مسعود[٤].

وعن نعيم بن حماد وعبد الرزاق. عن عبد الله بن عمرو. رضي الله عنهما. قال: إن الشمس إذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت في الطلوع فيؤذن لها. حتى إذا كان ذات ليلة فلا يؤذن لها وتحبس ما شاء الله تعالى. ثم يقال لها:

---

(١) سورة يس ٣٨.

(٢) سورة الأنعام ١٥٨.

(٣) وقاله ابن عطية. راجع فتح البارى حـ١١ ص ٣٥٣.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق. ومسلم في كتاب الإيمان والترمذي. راجع جامع الأصول حـ١١ ص ٨١ وتحفة الأخوذي حـ٦ ص ٤١٩.

اطلعي من حيث غربت قال: فمن يومئذ إلى يوم القيامة لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل[1].

وأخرج عبد بن حميد قال: تأتي ليلة قدر ثلاث ليال لا يعرفها إلا المتهجدون. يقوم فيقرأ حزبه. ثم ينام. ثم يقوم فيقرأ ثم ينام ثم يقوم فعندها يموج الناس بعضهم في بعض حتى إذا صلوا الفجر وجلسوا فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها. فيضج الناس ضجة واحدة. حتى إذا توسطت السماء رجعت[2].

وعند البيهقي: نحوه. وفيه: فينادي الرجل جاره: يا فلان: ما شأن الليلة؟ لقد نمت حتى شبعت. وصليت حتى أعييت[3]..

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. عن النبي ﷺ قال: أول الآيات طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى. فأيها خرجت قبل الأخرى فالأخرى منها قريب[4].

قال الحاكم: والظاهر أن طلوع الشمس من مغربها يسبق خروج الدابة. ثم تخرج الدابة في هذا اليوم. أو الذي يقرب منه[5].

قال ابن حجر[6]: والحكمة في ذلك: أن عند طلوع الشمس من مغربها يغلق باب التوبة. فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر. تكميلا للمقصود من إغلاق باب التوبة.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن المراد بالبعض في قوله تعالى «يوم يأتي بعض آيات ربك» إحدى ثلاث طلوع الشمس من مغربها الدابة. الدجال[7]

(١ - ٢ - ٣) يراجع فتح الباري.جـ١١ ص ٣٥٣

(٤) رواه مسلم في باب ذكر الدجال.

(٥) يراجع فتح الباري جـ١١ ص ٣٥٣.

(٦ - ٧) يراجع فتح الباري جـ١١ ص ٣٥٣ وحديث أبي هريرة لمسلم في كتاب الإيمان.

أخرجه الطبري. وقال: فيه نظر. لأن نزول عيسى بن مريم يعقب خروج الدجال. وعيسى عليه السلام لا يقبل إلا الايمان فانتفى أن يكون بخروج الدجال لا يُقبل الإيمان ولا التوبة ولا العمل الصالح[1].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل. طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض[2].

قيل: فلعل حصول ذلك يكون متتابعا. فتكون النسبة إلى الأول مجازية.

وهذا بعيد. لأن مدة لبث الدجال. إلى أن يقتله عيسى عليه السلام. ثم لبث عيسى عليه السلام إلى خروج يأجوج ومأجوج ثم لبثه بعدهما. كل ذلك سابق على طلوع الشمس من مغربها اهـ..

أقول ... فإن كل واحد من الآيات التي ورد فيها أنها أول. هي أول باعتبار غير أولية غيرها.

فالدجال أول الآيات العظام الدالة على التغير في معظم الأرض. وطلوع الشمس من مغربها أول الآيات العظام الدالة على تغير العالم العلوى والنار أول الآيات المباشرة لقيام الساعة. وتكون آخر الآيات أيضا باعتبار أنها تأتي آخر الآيات. ولا يليها إلا قيام الساعة. ففي حديث أنس في مسائل عبدالله بن سلام. أن النبي ﷺ قال له: وأما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب[3].

ومن حديث حذيفة بن أسيد[4] قال ﷺ: وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم[5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها. فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون. فذال

(١، ٢) يراجع فتح الباري حـ١١ ص ٣٥٣ وحديث أبي هريرة لمسلم في كتاب الإيمان.

(٣) رواه البخاري في مناقب الأنصار.

(٤) تقدم في آية الدخان. وسيأتي في آية النار. وتقدم أيضا في نزول عيسى.

(٥) رواه مسلم في كتاب الفن وأشراط الساعة.

حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أوكسبت في إيمانها خيرا. ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه. ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يُليط حوضه فلا يسقى منه ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا يطعمها[٣].

وقال ابن حجر[٤]: أخرج أحمد والطبري والطبراني مرفوعا: لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها. فإذا طلعت طبع الله على كل قلب بما فيه. وكفى الناس العمل.

وأخرج أحمد والدارمى وغيرهما مرفوعا: لا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها.

وأخرج الترمذي عن صفوان بن عسال مرفوعا: إن بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه[٥].

وفي هذا الحديث عند ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعا: فإذا طلعت الشمس من مغربها ردّ المصراعان فيلتئم ما بينهما. فإذا أغلق ذلك الباب لم تقبل بعد ذلك توبة ولا تنفع حسنة إلا من كان يعمل الخير قبل ذلك فإنه يجرى لهم ما كان قبل ذلك.

وعند نعيم بن حماد. عن عبد الله بن عمرو.: لا يلبثون بعد يأجوج ومأجوج إلا قليلا حتى تطلع الشمس من مغربها. فيناديهم مناد: يأيها الذين آمنوا قد قبل منكم. ويأيها الذين كفروا قد أغلق عنكم باب التوبة. وجفت الأقلام وطويت الصحف. اهـ. بتصرف وويفهم من الآية ومما تقدم من الأحاديث:

---

(١) الناقة ذات الدرّ.

(٢) يسد خروقه ليجمع فيه الماء.

(٣) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب ٤٠ -

(٤) في فتح البارى حـ١١ ص ٣٥٥.

(٥) وقال حسن صحيح.

أن نفسا لم تكن مؤمنة قبل طلوع الشمس من مغربها لا ينفعها إيمانها بعده وأن نفسا مؤمنة ليس لها عمل صالح قبل ذلك، لا ينفعها عملها الصالح بعده وأن العاصى. لا تنفعه التوبة.ز

وأن المؤمن الذي كان يعمل الخير قبله. يجرى له بعده مثل ما كان قبله. وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: اطلع رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر. فقال: ما تذكرون؟ قلنا نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات. فذكر الدخان. والدجال. والدابة. وطلوع الشمس من مغربها. ونزول عيسى بن مريم. ويأجوج ومأجوج. وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك نار تطرد الناس إلى محشرهم[١]..

وعن أبي العالية بين أول الآيات وآخرها ستة أشهر يتتابعن كتتابع الخرزات في النظام[٢].

وأخرج أحمد ونعيم بن حماد: عن عبد الله بن عمرو مرفوعا: الآيات خرزات منظومات في سلك إذا انقطع السلك تبع بعضها بعضا[٣].

وعن عبد الله بن عمرو: تبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها **عشرين** ومائة سنة[٤].

وهذا الحديث مرفوع. وقيل موقوف.

وأجيب عن هذا الحديث: بأن المدة ولو كانت كما قال: عشرين ومائة سنة. لكنها تمر مرورا سريعا كمقدار مرور عشرين ومائة شهر. من قبل ذلك. أو دون ذلك. كما ثبت في صحيح مسلم مرفوعا: لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر.. وفيه: واليوم كاحتراق السعفة[٥].

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن عمرو. مرفوعا:

إذا طلع الشمس من مغربها خرّ إبليس ساجدا. ينادى: إلّهي مُرْني أن أسجد لمن شئت[٦] اهـ.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة. وقد تقدم مرارا. وسيأتي أيضا

(٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦) يراجع فتح البارى حـ١١ ص ٣٥٤.

خروج الدابة

هذه إحدى العلامات القريبة من قيام الساعة تمام القرب. وهي من العلامات الكبيرة ذات الأثر الخطير التي توقظ النفوس وتحركها وتعدّها لليوم العظيم والموقف الجليل.

ولا خلاف حول كونها من اشراط الساعة. وأنها آية واضحة متميزة دالة على تغير العالم وتحوله إلى عالم آخر وعالم جديد. وقد ورد ذكرها صريحا في القرآن الكريم وفي السنّة المطهرة الصحيحة.

ويوجد خلاف كبير حول أصل هذه الدابة وصفتها ومكان خروجها. ووقت خروجها. وهل هي مخلوقة الآن أو ستخلق فيما بعد. وسنرى كل ذلك في محله إن شاء الله.

ذكر خروجها في القرآن

قال الله تعالى.. وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون »[١].

معنى وقع القول:[٢] .

قيل: إن معنى (وقع القول عليهم) المذكور في هذه الآية هو: وجب الغضب عليهم أو: حق العذاب.

أو: حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون.

أو: ما نطق به القرآن الكريم من مجىء الساعة وما فيها.

معنى قوله تعالى « تكلمهم »[٣]

قيل: إنها من الكلام والتكليم. وقيل: إنها من الكلْم وهو الجرح فعلى الأول:

---

(١) سورة النمل ٨٢

(٢) يراجع فتح القدير حـ٤ ص ١٥١.

(٣) يراجع فتح القدير حـ١ ص ١٥٢.

قيل: تكلّمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام.

وقيل: تكلمهم بما يسوؤهم.

وقيل: تكلمهم بقوله تعالى: «أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون» أي لا يوقنون بخروجها. لأن خروجها من الآيات:

وهذه التأويلات على قراءة الجمهور: تكلّمهم. من التكليم ويدل عليه قراءة أبيّ: تنبئهم.

وعلى الثاني: وهو أنه من الكلْم.

قيل المعنى: تسمهم وسما.

وقيل: تجرحهم. ويمكن حمل قراءة الجمهور على هذا المعنى. ويكون التشديد للتكثير.

ويدل على هذا قراءة ابن عباس وأبي زرعة. وأبي رجاء. والحسن: «تكْلَمُهُم» من الكلْم وهو الجرح.

ومما يدل على الرأى الأول: ما أخرجه ابن جرير. وابن أبي حاتم عن أبن عباس رضي الله عنهما: قال: تحدثهم.

وقد يكون كل من المعنيين مرادا: فتحدثهم وتجرحهم. ويدل على ذلك: ما أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم. عن ابن عباس جوابا على من سأله: هل تكلمهم من التكليم باللسان أو من الكلْم وهو الجرح؟ فقال: كل ذلك والله تفعل. تكلِّم المؤمن وتكلم الكافر. أي تجرحه[1].

ذكرها في الأحاديث

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر. فقال: ما تذكرون؟ قلنا: نذكر الساعة قال: إنها لن تقوم

---

(١) اهـ. فتح القدير جـ٤ ص ١٥٢ بتصرف كبير.

حتى تروا قبلها عشر آيات. فذكر: الدخان. والدجال. والدابة. وطلوع الشمس من مغربها. ونزول عيسى. ويأجوج ومأجوج. وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك نار تطرد الناس إلى محشرهم[٢].

وفي رواية: قال: كنا قعودا في ظل غرفة لرسول الله ﷺ فذكرنا الساعة فارتفعت أصواتنا. فقال رسول الله ﷺ لن تكون - أو لن تقوم - حتى يكون قبلها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها. وخروج الدابة. وخروج يأجوج ومأجوج. والدجال. وعيسى بن مريم. والدخان. وثلاثة خسوف خسف بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك تخرج نار من اليمن من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها. أو الدخان أو الدجال. أو الدابة. أو خاصة أحدكم. أو أمر العامة[١].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثا لم أنسه بعد. سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى. وأيهما ما كانت قبلَ صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ثلاث إذا خرجن لم ينفع

---

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة. وقد تقدم أكثر من مرة.

(٣) رواه أبو داود. انظرى عون المعبود جـ١١ ص ٤٢٦.

(١) رواه مسلم في بقية من أحاديث الدجال. وفي رواية بالواو بدل أو. وقد تقدم مشروحا في (الدجال)

(٢) رواه مسلم في ذكر الدجال. وأبو داود.انظر عون المعبود جـ ١١ص ٤٢٥. وقد تقدم مشروحا في طلوع الشمس.

نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل: طلوع الشمس من مغربها. والدجال. والدابة[٣].

قال الحاكم: والظاهر أن طلوع الشمس من مغربها يسبق خروج الدابة ثم تخرج الدابة في هذا اليوم أو الذي يقرب منه.

ذكره ابن حجر[٤] ثم قال: والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة. فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلا للمقصود من إغلاق باب التوبة.

هل هي دابة واحدة؟

قيل. وقيل:

فقد حكى أبو حيان في البحر: أنه يخرج في كل بلد دابة. فليست دابة واحدة. وإنما عبر عنها بالجنس.

وأكثر الروايات: أنها دابة واحدة. وإن تعدد خروجها وهو الصحيح[٥].

أصلها وصفتها.

قيل: إنها فصيل ناقة صالح عليه السلام. يخرج عند اقتراب القيامة ويكون من أشراط الساعة.

وقيل: هي دابة ذات شعر وقوائم. طوال يقال لها الجساسة والتي جاء ذكرها في حديث تميم الداري).

وقيل: هي دابة على خلقة بني آدم. وهي في السحاب وقوائمها في الأرض.

---

(٣) رواه مسلم انظر فتح الباري حـ١١ ص ٣٥٣ وقد تقدم مع شرحه في طلوع الشمس من مغربها.

(٤) في فتح البارى حـ١١ ص ٣٥٣.

(٥) انظر تفسير الألوس خـ٢٠ ص ٢٢.

وقيل: رأسها رأس ثور. وعينها عين خنزير. وأذنها أذن فيل وقرنها قرن إيّل[1] وعنقها عنق نعامة. وصدرها صدر أسد. ولونها لون نمر. وخاصرتها خاصرة هر. وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير. بين كل مفصل ومفصل اثنا عشر ذراعا.

وقيل: هي الثعبان المشرف على جدار الكعبة. كان في جوف الكعبة. ولما أرادت قريش بناء البيت الحرام. منعهم الثعبان فاختطفته العقاب وألقته بالحجون فالتقمته الأرض[2].

وقيل: هي دابة. ما لها ذنب. ولها لحية.

وقيل: هي إنسان متكلم يناظر أهل البدع ويراجع الكفار.

وقد رجح القرطبي الرأي الأول[3].

بعض ما ورد في صفتها[4] .

أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الدابة ذات وبر وريش مؤلفة. فيها من كل لون. لها أربع قوائم. تخرج بعقب من الحاج.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في وصف الدابة قال: رأسها رأس ثور: وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن إيّل. وعنقها عنق نعامة. وصدرها صدر أسد. ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر. وذنبها ذنب كبش. وقوائمها قوائم بعير. بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا.

وزاد ابن جرير: بذراع آدم.

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس.. رضي الله عنه: الدابة مؤلفة ذات

---

(١) ذكر الوعل.

(٢) ذكره الدميرى عن ابن عباس.

(٣ - ٤) يراجع تفسير الألوسي جـ٢٠ص ٢٢، تفسير ابن كثير حـ٣ ص ٣٧٦. وتفسير فتح القدير حـ٤ ص ١٥١.

زغب وريش. فيها من ألوان الدواب كلها. وفيها من كل أمّة سيما. وسيماها من هذه الأمة أنها تتكلم بلسان عربي مبين.

وفي رواية عنه، إن لها عنقا مشرفا. يراها من بالمشرق كما يراها من بالمغرب. ولها وجه كوجه الإنسان ومنقار كمقار الطير. ذات وبر وزغب.

وعن وهب: وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير.

ورُوى: لها جناحان. ورُوى: طولها ستون ذراعا.

والمشهور الحق: أنها دابة ليست من نوع الإنسان[1].

الدابة في رأي الشيعة

الشيعة لهم في الدابة رأى عجيب غريب شاذ.

فعن جابر الجعفي[2] قال: هي من الإنس. وإنها عليٌّ نفسه. رضي الله عنه.

وعلى ذلك جمع من إخوانه الشيعة.

ولهم على ذلك روايات: منها:

قال رجل لعمار بن ياسر رضي الله عنهما: يا أبا اليقظان: آية من كتاب الله أفسدت قلبي. قال عمار: وأيّة آية؟ فقال: قوله تعالى «وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض...» فأية دابة هذه؟ قال عمار: والله ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتى أريكها. فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وهو يأكل تمرا وزبدا. فقال: يا أبا اليقظان: هلمّ فجلس عمار يأكل معه. فتعجب الرجل منه. فلما قام عمار. قال الرجل: سبحان الله! حلفت أنك لا تجلس ولا تأكل ولا تشرب حتى ترينيها. قال عُمار: قد أيتكها إن كنت تعقل:

وروى العياش هذه القصة بعينها عن أبي ذر رضي الله عنه

---

(١) كما رجحه القرطبي في الصفحة السابقة. ولأن هذا هو الذي يتفق مع ظاهر القرآن الكريم.

(٢) قال عنه أبو حنيفة: ما رأيت أكذب منه.

وكل ما يردونه في ذلك كذب صريح. وفيه القول بالرجعة التي لا ينتهض لهم عليها دليل.

الردّ على الشيعة

ورد في بعض الآثار ما يعارض رأي الشيعة المذكور.

فقد أخرج ابن أبي حاتم. عن النزال بن سبرة قال: قيل لعلي كرم الله وجهه: إن ناسا يزعمون أنك دابة الأرض. فقال: والله إن لدابة الأرض ريشا وزغبا. ومالى ريش ولا زغب وإن لها لحافرا. ومالى حافر. الخ[٣].

هل الدابة مخلوقة الآن؟

اختلف في ذلك. فقيل: تخلق يوم تخرج[١]

وقيل: هي مخلوقة الآن ولم تؤمر بالخروج.

واستدل للرأى الثاني:

بما رُوى عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال: إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه.

وعلى هذا الرأي من يقول إنها الثعبان.

ومن يقول: إنها الجساسة التي تتجسس الأخبار للدجال[٢].

ومن يقول: إنها فصيل ناقة صالح عليه السلام.

وزعم بعضهم: أنها مخلوقة في عهد الأنبياء المتقدمين عليهم السلام. فعن الحسن: أن موسى عليه السلام سأل ربه سبحانه أن يريه الدابة. فخرجت ثلاثة أيام ولياليهن. تذهب من السماء لا يرى واحد من طرفيها. فرأى عليه

---

(٣) يراجع الألوس جـ٢٠ ص ٢٢.

(١) رجحه الألوس في تفسيره حـ٢٠ ص ٢٤.

(٢) هذا من عندي.

السلام منظرا فظيعا فقال: يا رب ردّها. فردّها[٣].

وقت خروجها

سيكون خروجها حين لا يبقى في الأرض خير.

ويقتضي ذلك أن يكون بعد موت عيسى والمهدى وأتباعهما ويكون بعد طلوع الشمس من مغربها.

يدل على ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أكثروا من الطواف بالبيت من قبل أن يرفع وينسى الناس مكانه. وأكثروا تلاوة القرآن من قبل أن يرفع قيل: وكيف يرفع ما في صدور الرجال؟ قال: يُسرى عليهم ليلا فيصبحون منه فقراء. وينسون قول لا إله إلا الله. ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم. فذلك حين يقع القول عليهم.

وأخرج نعيم بن حماد عن وهب بن منبه: أول الآيات الروم. والثانية الدجال. والثالثة يأجوج ومأجوج. والرابعة عيسى والخامسة الدخان. والسادسة الدابة.

قال الألوسي[١] والحق أنها تخرج وفي الناس مؤمن وكافر. وأن من الأخبار ما هو ناطق بأنها تخرج وعيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون وقال: الظاهر أن الخبر المذكور عن ابن مسعود غير صحيح. وقال:.

ويدل على ما ذكر. ما أخرجه أحمد والطيالسي. ونعيم بن حماد. وعبد بن حميد. والترمذي وحسنه وابن ماجة وابن جرير. وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي. و.. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: تخرج

---

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة، عبد بن حميد، ابن المنذر، ابن أبي حاتم - يراجع في كل أخبار الدابة

أ - الألوس حـ٢٠ ص ٢٢، ٢٣، ٢٤

ب - تفسير ابن كثير حـ٣ ص ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦.

ج - فتح القدير حـ٤ ص ١٥١، ١٥٢، ١٥٣.

(١) في تفسيره حـ٢٠ ص ٢١ وما بعدها.

دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان. فتجلو وجه المؤمن بالخاتم وتخطم أنف الكافر بالعصا. حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر.

وأخرج نعيم بن حماد. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. أنها إذا خرجت تقتل إبليس عليه اللعنة - وهو ساجد - وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها.

أقول:

لعل الراجح هنا: أن خروج الدابة يكون بعد طلوع الشمس من مغربها. كما رجحه الحاكم وابن حجر. ويدل عليه حديث ابْن مسعود رضي الله عنه. وليس في الأمر جزم. فالله وحده أعلم بما يكون وما سيكون.

والرسول صلى الله عليه وسلم لم يجزم بأيها يسبق. بل قال: فأيها ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا.

ولا يمنع أن تخرج الدابة بعد طلوع الشمس من مغربها. ويكون في الناس مؤمن وكافر. لأن الممتنع أن يحصل إيمان جديد.

مكان خروجها[1]

قيل: تخرج من بين الركن والمقام.

وقيل: من جبل الصفا بمكة.

وقيل: من جبل أبي قبيس بمكة.

وقيل: تخرج في تهامة.

وقيل: تخرج من مسجد الكوفة حيث فار التنور.

وقيل: تخرج من سدوم (قرية قوم لوط)

وقيل: تخرج من أرض بالطائف.

وقيل: تخرج من صدع في الكعبة.

---

(١) يراجع التفاسير الثلاثة السابقة.

وقيل: تخرج من صخرة من شعب اجياد.

وقيل: لها ثلاث خرجات.

١ - خرجة في بعض البوادي حتى يتقاتل عليها الناس وتكثر الدماء ثم تكمن.

(٢ - ثم تخرج في القرى

٣ - ثم تخرج من أعظم المساجد وأشرفها.

بعض الآثار في مكان خروجها.

أخرج عبد بن حميد وابن مردويه. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في الآية: فيكون خروجها من الصفا ليلة مني.

وروى البيهقي: عن أبي هريرة رضي الله عنه: مرفوعا: تخرج دابة الأرض من جياد. فيبلغ صدرها الركن. ولم يخرج ذنبها بعد.

وأخرج ابن مردويه: عن حذيفة رضي الله عنه: تخرج: الدابة من أعظم المساجد حرمة.

وأخرج نعيم بن جماد، عبد بن حميد، ابن المنذر: عن ابن عباس رضي الله عنهما: تخرج من بعض أودية تهامة.

وأخرج ابن مردويه: عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن للدابة ثلاث خرجات. وذكر نحو ما تقدم.

وأخرج الحاكم وصححه. والبيهقي. ونعيم بن حماد. وعبد بن حميد والطيالس. وابن جرير. عن حذيفة رضي الله عنه.. قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة. فقال: لها ثلاث خرجات من الدهر. وذكر نحو ما تقدم.

وفي تفسير ابن كثير[١] آثار أخرى تؤيد كل الأقوال المروية في مكان خروج الدابة.

أقول: إن اختلاف الآراء والآثار حول تحديد مكان خروج هذه الدابة.

---

(١) حـ٣ ص ٣٧٥. والآثار المتقدمة واردة في التفاسير الثلاثة المذكورة.

دليل على أن رسول الله ﷺ ترك بيانه للناس. أو أنه لم يوح إليه بشيء فيه. وليس مهما أن يعرف الناس مكان خروجها على التحديد. ويكفي معرفة أنها ستخرج وتجول وتصول. وأنها مخلوق غريب وعظيم. تخطم أنف الكافر بالعصا وتجلى وجه المؤمن بالخاتم.

وتخرج من الأرض بعد أن تتكون فيها. وذلك بقدرة الله تعالى. التي ستخرج جميع الخلائق من أجداثهم أحياء إلى ربهم ينسلون.

ما تفعله الدابة

عن ابن عمر رضي الله عنهما. في الآية قال: قال صلى الله عليه وسلم: ليس ذلك حديث ولا كلام. ولكنها سمة تسم من أمرها الله به. فيكون خروجها من الصفا ليلة مني فيصبحون بين رأسها وذنبها لا يدحض داحض. ولا يجرح جارح. حتى إذا فرغت مما أمرها الله به فهلك من هلك ونجا من نجا كان أول خطوة تضعها بأنطاكية[1].

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: تخرج الدابة فتسم على خراطيمهم. ثم يعمرون فيكم حتى يشترى الرجل الدابة. فيقال له: ممّن اشتريتها؟ فيقول: من الرجل المخطم[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان. فتجلو وجه المؤمن بالخاتم وتخطم أنف الكافر بالعصا. حتى يجتمع الناس على الخوان. يعرف المؤمن من الكافر[3].

وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه: ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال: لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خرجة من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها

---

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن مردويه. انظر فتح القدير جـ٤ ص ١٥٢.

(٢) أخرجه أحمد وابن مردويه انظر فتح القدير جـ٤ ص ١٥٢.

(٣) أخرجه الترمذي وحسنه. والحاكم والبيهقي وابن أبي حاتم وابن مردويه وأحمد وقد تقدم قبل صفحتين. انظر فتح القدير جـ٤ ص ١٥٣.

القرية - يعني مكة - ثم تكمن زمنا طويلا. ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك. فيعلو ذكرها في أهل البادية. ويدخل ذكرها القرية - يعني مكة - قال ﷺ: ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها المسجد الحرام. لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام. تنفض عن رأسها التراب. فارفض الناس عنها شتى وبقيت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله. فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدرى. وولت في الأرض لا يدركها طالب. ولا ينجو منها هارب. حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان: الآن تصلى! فيقبل عليها فتسمه في وجهه. ثم تنطلق.

ويشترك الناس في الأموال. ويصطحبون في الأمصار. يعرف المؤمن من الكافر. حتى إن المؤمن ليقول: يا كافر اقضني حقي. وحتى إن الكافر ليقول: يا مؤمن اقضني حقي[١].

وعن علي كرم الله وجهه قال: إنها دابة لها ريش وزغب وحافر وما لها ذنب. ولها لحية[٢].

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في وصف الدابة: رأسها رأس ثور. وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن إيّل[٣] وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد. ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر. وذنبها ذنب كبش. وقوائمها قوائم بعير. بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا. تخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان. فلا يبقى مؤمن إلا نكتت في وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه ولا يبقى كافر إلا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفشو تلك النكتة حتى يسود بها وجهه. حتى إن الناس يتبايعون في الأسواق. بكم ذا يا مؤمن؟ بكم ذا يا كافر؟ وحتى إن أهل البيت يجلسون على مائدتهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ثم تقول لهم الدابة: يا فلان: أبشر أنت من أهل الجنة. ويا فلان: أنت

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي، ورواه ابن جرير موقوفا. انظر ابن كثير جـ٣ ص ٣٧٥.

(٢) رواه ابن أبي حاتم.

(٣) ذكر الوعل.

من أهل النار. فذلك قوله تعالى «وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون»[1].

وبعد. فإن الأحاديث الواردة في خروج الدابة وأنها من علامات الساعة كثيرة وصحيحة. وقد ذكرت أربعة منها لمسلم.

أما ما ورد في صفتها. ومكان خروجها. وما تفعله بعد خروجها وزمان خروجها. فهو كثير وكثير. بين صحيح وحسن وضعيف. وقد وقع في بعضها بعض الاختلاف.

والجمع بينها يبدو ممكنا في بعض الحالات. وفي بعضها غير ممكن فالأولى تفويض العلم لله تعالى.

خروج النار

قبل قيام الساعة تخرج على الناس من قعْرعَدَن نار تسوقهم إلى محشرهم. وتبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا. وقيل تخرج من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى.

وهذه النار من أشراط الساعة. أخبر بها الصادق الأمين مع جملة أمور أخرى. تسبق قيام الساعة.

وخروجها سيكون آخر علامات الساعة. بمعنى أنها إذا خرجت يعقبها قيام الساعة من غير تخلل شيء آخر. وبعدها ينفخ في الصور.

وهناك نار أخرى. أخبر بوقوعها ﷺ وقد خرجت من المدينة سنة ٦٥٤ ورؤيت من مكة ومن جبال بُصرى.

والنار الأولى هي التي تُسمى الحاشرة. أما الثانية فغيرها.

---

(١) الآية من سورة النمل ٨٢. والحديث رواه ابن جريج يراجع فيه وفي الذي قبله ابن كثير جـ٣ ص ٣٧٦.

والنار الحاشرة هي التي وردت في الأحاديث ضمن الآيات العشر التي تسبق قيام الساعة. وتكون آخر الآيات.

وما ورد: من أن النار أول أشراط الساعة فمحمول على النار الأولى التي خرجت في المدينة ورآها الناس.

أو على أنها كناية عن الفتن المنتشرة التي أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلتهب النار. وكان ابتداؤها من قبل المشرق حتى خرب معظمه وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر. كما حدث في أيام المغول وغيرهم.

أو على أنها أول أحوال يوم القيامة. باعتبار أنها متصلة بالنفخ والزلزلة. وسابقة عليها.

وما وقع في الروايات من الاختلاف. في أنها تخرج من عدن أو من أرض الحجاز. فإما أن يجمع بينهما بأنها تخرج أولا من عدن ثم تظهر وتشتد وتقوى في أرض الحجاز.

أو أن النار التي تخرج من عدن هي الحاشرة. وهي من أشراط الساعة. بخلاف التي تخرج من أرض الحجاز وقد خرجت من المدينة كما تقدم. فهما متغايران. وليس في حديث أبي هريرة أن نار الحجاز متعلقة بالحشر. فتكون آية مستقلة[١].

وفي الآحاديث الصحيحة التي سنذكر بعضها هنا. زيادة بيان

عن حذيفة بن أسيد الغفارى رضي الله عنه قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر. فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها. ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج. وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم[٢].

---

(١) يراجع فتح البارى حـ١١ ص ٣٧٨ وما بعدها. وحـ١٣ ص ٦٨ وما بعدها.

(٢) مكان حشرهم. قيل المحشر أرض الشام.

وفي رواية: تخرج من قعر عدن[١] ترحل[٢] الناس.

وفي رواية: كان ﷺ في غرفة ونحن تحتها نتحدث وساق الحديث. قال الراوي: وأحسبه قال: تنزل معهم إذا نزلوا وتقيل معهم حيث قالوا[٣].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال ﷺ ستخرج نار من حضر موت أو من بحر حضر موت قبل يوم القيامة تحشر الناس. قالوا: يا رسول الله: فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام[٤] وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا قعودا في ظل غرفة لرسول الله ﷺ فذكرنا الساعة. فارتفعت أصواتنا فقال رسول الله ﷺ لن تكون - أو لن تقوم - حتى يكون قبلها عشر آيات - وذكر الآيات ثم قال: وآخر ذلك نار تخرج من اليمن من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر[٥].

وعنه رضي الله عنه: نحو الأولى. وزاد في ذكر النار: قال: ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس أو تحشر الناس. فتبيت معهم حيث باتوا. وتقيل[٦] معهم حيث قالوا[٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل[٨] ببصرى[٩].

---

(١) عدن: مدينة معروفة باليمن. وقعرها أقصى أرضها. وسميت «عدن» من العدون وهو الإقامة لأن تُبّعا كان يحبس فيها أصحاب الجرائم.

(٢) أي تزعجهم وتجعلهم يرحلون قدامها.

(٣) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٤) أخرجه الترمذي. وقال حسن صحيح غريب عن ابن عمر. تحفة الأحوذي حـ٦ ص ٤٦٤.

(٥) رواه أبو داود. وقال إسناده صحيح ورجاله رجال الصحيحين. عون المعبود حـ١١ ص٤٢٦ و ٤٣٣

(٦) تلازمهم إلى أن يصلوا إلى مكان الحشر.

(٧) رواه الترمذي وقال حسن صحيح. تحفة الأحوذي حـ٦. ص ٤١٦.

(٨) مدينة معروفة بالشام وتدعى حوران.

(٩) أخرجه البخاري في كتاب الفن باب خروج النار

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير. ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا[2].

فالطريقة الأولى: راغبين وراهبين.
والطريقة الثانية: اثنان على بعير وثلاثة على بعير الخ.
والطريقة الثالثة: تحشر بقيتهم النار تقيل معهم الخ.
وهذه هي النار المذكورة في حديث حذيفة بن أسيد. المتقدم[3].

وعن عبد الله بن عمرو. مرفوعا: تبعث نار على أهل المشرق فتحشرهم إلى المغرب. تبيت معهم حيث باتوا. وتقيل معهم حيث قالوا. ويكون لها ما سقط منهم وتخلف. تسوقهم سوق الجمل الكسير[4].

وللجمع بين هذه الأخبار. خروجها من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب. وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن. فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها. وقوله (تحشر الناس من المشرق إلى المغرب) ليس المراد به خصوص المشرق والمغرب ولكن المراد تعميم الحشر. أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر تحشر أهل المشرق ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائماً من المشرق[5].

---

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار في مسائل عبد الله بن سلام. وفي كتاب الفتن باب خروج النار.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب الحشر.

(٣) يراجع فتح الباري- جـ ١١ ص ٣٧٩.

(٤) أخرجه الحاكم. انظر المرجع السابق.

(٥) انظر المرجع السابق.

وجعل القاضي عياض النار التي في حديث أبي هريرة حاشرة أيضا. وقال: ولعلها ناران يجتمعان لحشر الناس. أو يكون ابتداء خروجها من اليمن ويكون ظهورها وكثرة قوتها بالحجاز[1]

أما ابن حجر فيقول: الذي يظهر لي أن النار المذكورة في هذا الحديث هي التي ظهرت بنواحي المدينة. كما فهمه القرطبي وغيره[2] (والله أعلم)..

(١ - ٢) يراجع فتح الباري جـ١٣ ص ٦٩.

الخاتمة

إلى هنا نكون قد أتينا على نهاية البحث. ومن خلاله نجد أننا قد توصلنا إلى النتائج التالية:

١ - تطلق الساعة ويرادبها: البعث. أو النفخة الأولى. أو إماتة الجماعة أو من مات وحده. وأن المراد بها في هذا البحث: وقت النفخة الأولى.

٢ - من علاماتها ما قد مضى. كبعثة نبينا محمد ﷺ وانشقاق القمر. والروم. والدخان. والبطشة الكبرى. ووقوع بعض الفتن الخ.

٣ - للساعة أسماء كثيرة ورد بها القرآن الكريم.

٤ - وقت مجيئها. خفّى عنا. ولا يمكن أن يعلم.

٥ - أما مجيئها فمعلوم ويجب الإيمان به. وقد أعتننت الديانات كلها بقضيّة الإيمان بالساعة.

---

(١) من صفحة ٤.

(٢) صفحة ٥

(٣) من صفحة ٦.

(٤) صفحة ٧.

(٥) من صفحة ٧.

٦ - وهي قريبة لا شك فيها حتى ولو كان الباقي من الدنيا. عشرات أو مئات السنين. فكل آت قريب. وما بقي بالنسبة لما مضى قليل.

٧ - ورد في عمر الدنيا كلام كثير. بعضه مبنى على وهم باطل. والبعض على أدلة متناقضة ضعيفة..

٨ - أشراطها أنواع: منها ما هو سابق عليها ويدل على دنوها. ومنها ما يكون قريبا منها. ومنها ما يقارنها. والأول: هو الآيات الصغرى وتمثل القسم الأول من البحث. والنوعان الاخيران: هما الآيات الكبرى. وتمثل القسم الثاني من البحث.

٩ - آياتها الصغرى الدالة على دنوها كثيرة: مثل.
قيامها على شرار الناس. رفع الأمانة. كثرة المال. رفع العلم. شرب الخمر. كثرة الزنا. كثرة القتل. كثرة النساء. قلة الرجال. تطاول الناس في البنيان. كثرة الفتن والزلازل. ظهور دجالين كذابين قتال المسلمين لليهود. وقتالهم للترك. والتقاؤهم مع الروم في ملحمة كبرى. وانتصار المسلمين في كل ذلك. وفتحهم القسطنطينية وخروج رجل من قحطان ثم يغزو الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويهدمها.

١٠ - آياتها الكبرى القريبة منها. والمقارنة لقيامها: عشر آيات(١).

دخان: يملأ ما بين المشرق والمغرب. ويرى ابن عباس أنه لم يمض بعد ويرى ابن مسعود أنه مضى. ولكل منهما ما يؤيد رأيه. وقيل هما دخانان واحد مضى. والآخر قرب قيام الساعة. ونقل ذلك عن ابن مسعود. وهذا يجمع بين الرأيين. وقد رجحنا مذهب ابن عباس بحجج مختلفة. كما قيل إن الدخان كان يوم فتح مكة وهو رأي منكر(٢).

خسوف ثلاثة: بالمشرق وبالمغرب وبجزيرة العرب. والمراد بها خسوفات أكبر مما

---

(٦) صفحة ١١.
(٧) صفحة ١٢ - ١٧
(٨) صفحة ١٧.
(٩) صفحة ١٨ - ٤٦.
(١) صفحة ٤٧.
(٢) صفحة ٤٨ - ٥٣

نشاهده الآن. وتكون قريبة من الساعة. لأنها وردت في الأحاديث الصحيحة ضمن الآيات العشر. القريبة من الساعة[١].

ظهور الدجال وخروجه على الناس. وفتنته أكبر فتن الدنيا كلها. وقد ذكرت ما قيل عنه: اسمه. وصفته. ومتى يخرج. ومن أين يخرج وسبب خروجه. وما يدّعيه ويظهر على يديه من الخوارق. ومهلكه. ومن يقتله وهل هو ابن صياد. وذكره في حديث الجساسة. والتحذير منه. وذكره في القرآن الكريم. وفي السنة الشريفة. وأتباعه من اليهود والنساء ولا يدخل مكة ولا المدينة. ومدة لبثه. وحال الناس زمن خروجه وحالهم بعده. والخلاف حوله. مع الترجيح. وهل فتنته ستعم الأرض كلها. وذكرت قصة تميم الداري عن الجساسة وتصديق النبي ﷺ له. وما رُوي عن ابن صياد. والخلاف حوله. وحلف عمر وابن عمر وجابر أنه الدجال. ما يشكون. ويرى النووي ذلك ورجحت أن ابن صياد ما هو إلا شبهة عرضت لرسول الله ﷺ فسعى لمعرفة أصلها ولم يقل: هو. لأنه لم يكن أوحى إليه فيه شيء. فلما أوحى إليه وذكر تميمٌ حديث الجساسة وافقه ﷺ، وبينت حقيقة ابن صياد. وما ورد فيه من آثار. ودفاعه عن نفسه. وأنه أسلم وولد له. ودخل المدينة ومكة. ومات ورآه الناس وصلوا عليه[٢].

ظهور المهدي بين يدي عيسى عليه السلام. وأن المشهور أنه لا بد من ظهوره وقد خرّج أحاديثه جماعة منهم: أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم وغيرهم. ومنها الصحيح والحسن والضعيف... خلافا لابن خلدون فقد ضعفها كلها. وليس كما قال.

وهو أحد الخلفاء الاثني عشر. وليس بالمهدي الذي يتوهمه الرافضة أو الشيعة الإمامية. وإنما هو المعروف عند أهل السنة. يوافق اسمه واسم أبيه اسم رسول الله ﷺ واسم أبيه. يملأ الأرض عدلا. ويعمل في الناس بسنة رسول الله ﷺ يُبايَع له بين الركن والمقام. ويُبعث إليه البعث من الشام لقتاله

---

(١) صفحة ٥٣

(٢) صفحة ٥٤ - ٨١.

فيُخسف بهم. ويأتيه بعث كلب يقاتلونه فينصره الله عليهم. ويأتيه أبدال الشام وعصائب العراق.. وذكرت رأى الصوفية وما ورد في الأبدال والعصائب. ويلبث سبع سنين. وذكرت أن هناك مهديين كثيرين. وأن المهدي عند الهنود شيء غريب. وغير ذلك.وبيّنت مذهب الشيعة. ورددت عليه.

ورأيت بعد ذلك أنه من الخطر رد هذه الأحاديث. وأنه يلزم قبولها والتصديق بظهور المهدى. مهما كان في بعضها من مقال. فهي مقبولة في جملتها. ولا التفات إلى ما يقال عن اختفائه ثم ظهوره. مؤيدا بالحجج[1] **ينزل عيسى بن** مريم عليه السلام من السماء الى الأرض حاكما بشريعة محمد ﷺ. ويقتل الدجال. وقد بينت الحكمة من نزوله دون غيره من الأنبياء. ووقت نزوله. ومكان نزوله. وصفته. ووفاته وعمره وما فيه من اختلاف مع الترجيح بأنه رفع وعمره ٣٣ سنة وبعد نزوله يعيش ٧ سنوات. وذكرت الآيات والأحاديث التي جاء ذكره فيها[2] **تخرج يأجوج ومأجوج** وهم من كل حدب ينسلون. وقد ذكروا في القرآن الكريم وفي الأحاديث. وذكرت موجزا عن أصلهم وانتسابهم وعددهم وصفتهم وموطنهم ومكان السد ومن رآهم. ورجحت أن أحدا لم يرهم. وأن موضعهم مجهول إلى الآن. وذكرت شيئا عن ذي القرنين وبناء السد. ثم كيف يكون خروجهم. ورجحت أنه سيكون ببذل محاولات منهم لخرق السد. وينجحون في ذلك عندما يشاء الله. فيخرجون منطلقين انطلاق السهم. ويتحصن الناس منهم. ويدعو عليهم عيسى عليه السلام وأصحابه. فيقبل الله دعاءه ويهلكهم بعذاب من عنده فيرسل عليهم النغف فيموتون موتة رجل واحد. ثم يطهر الله الأرض من نَتَنِهم.. وقد زعم البعض أنهم التتار. ولكن رجحت أنهم ليسوا هم. وأقمت الحجج على ذلك[3]

وتطلع الشمس من مغربها: ويكون ذلك عند إشراف قيام الساعة فيوم تطلع كذلك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل. وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم وفي الأحاديث[4].

---

(١) من صفحة ٨٢ - ٩٨.
(٢) من صفحة ٩٩ - ١٠٨.
(٣) من صفحة ١٠٩ - ١١٨.
(٤) من صفحة ١١٩ - ١٢٣.

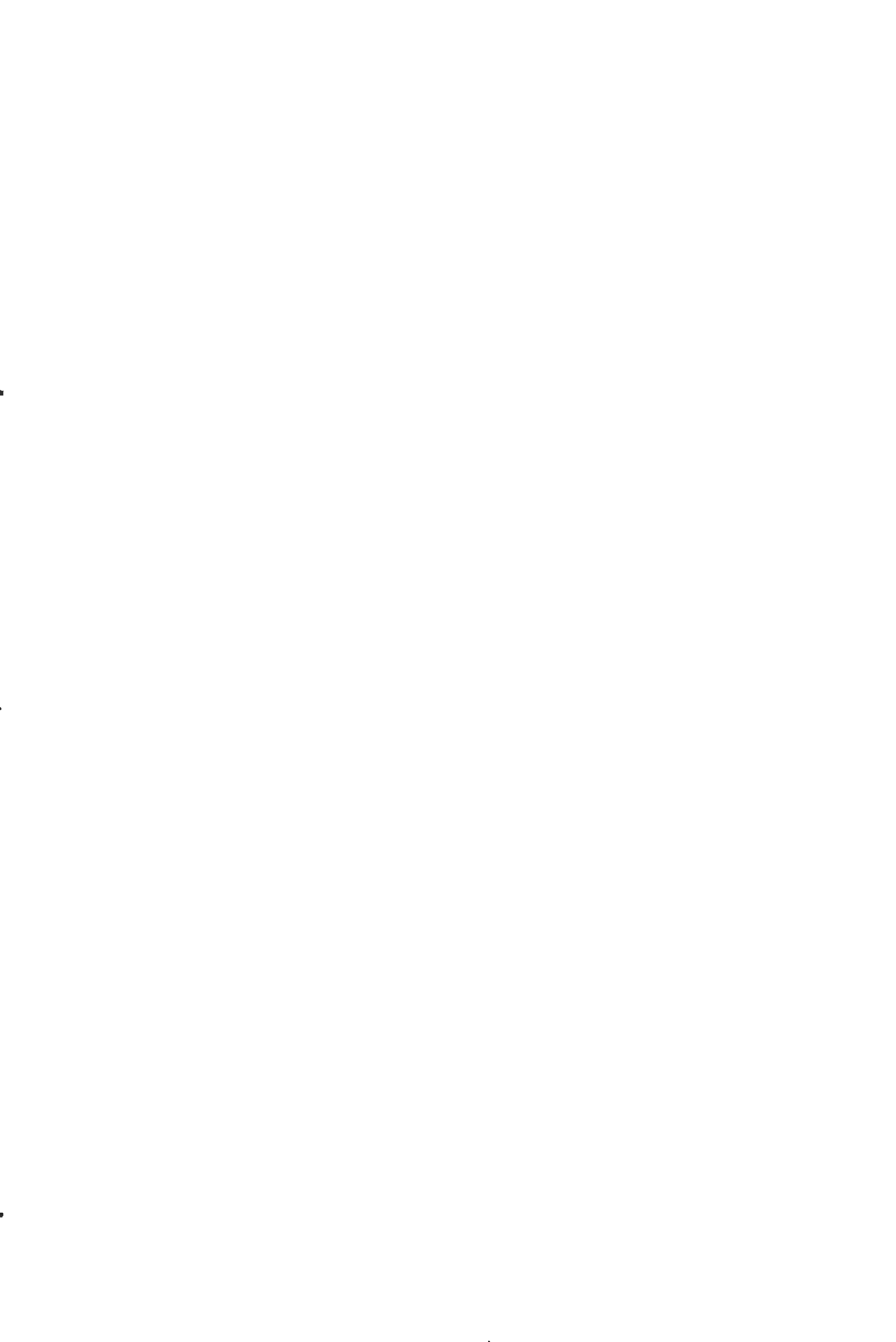
وتخرج الدابة: من الأرض على الناس ضحى تكلمهم. وبينت معنى قوله تعالى «تكلّمهم» والاختلاف فيها. والجمع بين وجوهها. وذكرت ما ورد فيها من قرآن وسنة. وبينت الأقوال في أصلها وصفتها ووقت خروجها. ومكان خروجها. وهل هي دابة واحدة أو أكثر وهل هي مخلوقة الآن أو ستخلق. وما ستفعله بالناس مؤمنهم وكافرهم ومذهب أهل الشيعة فيها. والردّ عليه[1].

وتخرج نار من عدن: تسوق الناس إلى محشرهم. وهي آخر العلامات العشر الكبرى.. وما ورد أنها أول الأشراط فمحمول على معنى أنها أول أحوال يوم القيامة. فبعدها ينفخ في الصور[2].

---

(١) من صفحة ١٢٤ - ١٣٣.

(٢) من صفحة ١٣٤ - ١٣٦.



مراجع البحث

كتاب الله تعالى

الكتاب	المؤلف	الطبعة
معجم الألفاظ والأعلام القرآنية	– محمد إسماعيل إبراهيم	– دار الفكر العربي
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن	– محمد فؤاد عبد الباقي	– مطابع الشعب
تفسير روح المعاني	– الألوسي	– طبع بيروت
تفسير الجامع لأحكام القرآن	– القرطبي	– عن طبع دار الكتب
تفسير أحكام القرآن	– ابن العربي	– طبع عيسى الحلبي
تفسير القرآن العظيم	– ابن كثير	– طبع بيروت
تفسير جامع البيان	– الطبري	– طبع المطبعة الأميرية
تفسير الدر المنثور	– السيوطي	– طبع بيروت
تفسير فتح القدير	– الشوكاني	– طبع بيروت
تفسير البحر المحيط	– لأبي حيان	– طبع مطابع النصر بالرياض
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث	–	–مطبعة ليدن
مفتاح كنوز السنة	–محمد فؤاد عبد الباقي	– طبع لاهور
عمدة القارى شرح البخاري	– العيني	– طبع بيروت
فتح البارى شرح البخاري	– ابن حجر (١٢ جزءا)	– « المطبعة السلفية
فتح البارى شرح البخاري	– ابن حجر حـ١٣	– طبع دار المعرفة
فتح المبدى شرح مختصر الزبيدي	– الشرقاوي	– طبع بيروت
صحيح مسلم	– بشرح النووي	– طبع المطبعة المصرية

العنوان	المؤلف	الطبعة
مسند الامام أحمد بن حنبل	–	– طبع بيروت
سنن النسائي	– شرح السيوطي	– طبع بيروت
تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي	– للمبار كفوري	– طبع مطبعة الفجالة
عون المعبود شرح سنن أبي داود	– مع شرح ابن القيم	– طبع المكتبة السلفية
مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح	– القارى	– المطبعة الميمنية بالقاهرة
فتح الملك المعبود تكملة–المنهل العذب المورود	– شرح سنن أبي داود	– مطبعة الاستقامة
جامع الأصول	– لابن الأثير	– مطبعة السنة المحمدية.
تيسير الوصول إلى جامع الأصول	– الشيباني	– مطبعة مصطفى الحلبي
جمع الفوائد وأعذب الموارد	– للسيد عبد الله هاشم اليماني المدني	– الطبعة الأولى
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	– الهيثمى	– دار الكتاب بيروت
عقائد الإمامية	– محمد رضا المظفر	– مطبوعات النجاح بالقاهرة
لسان العرب المحيط	–ابن منظور	– طبع بيروت.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة